

حكمة الله سبحانه وتعالى جلت قدرته . « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » سورة يس . وإذا كان ذلك شأن المولى القدير لتنظيم هذا الكون في دقة بالغة ، فإن تبسنا من هذا النظام لأبد أن يضىء الطريق للحياة البشرية فوق هذه الأرض ، حتى تبقى الإنسانية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد سمى الانسان دائما منذ نشأته الى مقاومة كل ما يهدد وجوده محاولا التغلب على العقبات التي تعترض طريقه حتى لا ينتهي به الحال الى الفناء، ومن ثم كان سبيله الوحيد هو تنظيم حياته بصورة تتواءم مع حياة غيره ، ولا يتأتى هذا الا اذا وضعت لها القواعد والنظم ، على اية صورة كانت وما دامت توصل الى غايتها . وكل ما يصل اليه في هذا الصدد انها هو نتاج لفكره أوجدته ضرورة المحافظة على بقائه . ومن سمات عصرنا الراهن كثرة النظم والقواعد والاحكام والقوانين التي تدخل الى حياة الناس وتدخل الى درجة خطيرة حتى لا تكاد تخلو منها كل دقيقة تمر في وجودهم .

فالنظام — أو القانون — ان شئت تسميته أمر حتى وضروري لبناء البشرية واستمرارها ، وانه وان بدا في بعض الاحيان قاصرا عن بلوغ هدفه ، فليس هذا نابعا من عدم ضرورته ، وانما عن تصور فيه ، فلم يصل بعد الى درجة من الدقة والاحكام الى تحقق ما يرجى فيه ، وما زالت البشرية في كفاح مع كل ما يحيط بها ، واضعة نصب أعينها تنظيما يتجدد يوما بعد آخر وزمنا بعد زمن وفق مقتضيات الحال وتغير الظروف .

فاذا انتهينا الى أن النظام أو القانون ضرورة ، وربطنا هذا بما سبق لنا قوله من أن الفكر الإنساني في وحدة مترابطة ، وأن الآخرين يستفيدون من خبرات الاولين ، ولن يأتوا بالجديد المفيد الا اذا استوعبوا خبرات الماضي وتجاريه في محاولة لتفادي عيوبه ، وسميا وراء تقدمه ، لبدا واضحا ضرورة هضم ثقافات السابقين وتعرف أفكارهم ومعتقداتهم لصهرها في

بوتقة الزمن والتقدم للوصول الى أسس آيات الفكر الإنساني في التنظيم القانوني .

وإذا انتقلنا من التمييز الى التخصيص ، وفي عبارة أخرى اذا تناولنا بوجه خاص العلوم الإنسانية — والقانون بدرجة اخص — وتركنا مجال العلوم الأساسية البحثية ، لوجدنا الفكر الإنساني على مسر المصور أشد ترابطا وأقوى تماسكا ، فالباحث في العلوم الأساسية يدور نشاطه حول نقاط معينة توصله أولا توصله الى نتائج محددة ، لانها في الغالب أمور مجسوسة وملموسة . أما في مجال العلوم الإنسانية فالأمور أشد واعمق بكثير ، ذلك لانه يقتضى الفوضى في اعماق النفس البشرية ليكشف عما بداخلها وما قد تؤثر فيه أو تتأثر به ، وهو أمر شاق وطرقه وعرة ومسالكه متعددة ، ولهذا فان العلوم الإنسانية في عصرنا الراهن وبوضعها الحديث ليست موهلة في القدم شأن غيرها من العلوم الأساسية . وليس بغريب بعد هذا أن نرى الفارق المذهل بين التقدم العلمي والتكنولوجي اذا ما قورن بما تسير فيه العلوم الإنسانية .

ولعل المرجع في النتيجة آفة البيان هو ما تنشده البشرية من متع في الحياة يحققها لها التقدم العلمي التكنولوجي ، فيشد بريقه جميع الناس ساعين اليه كامل مرموق ، اذ يبسر لهم كثيرا من أمور معاشهم ، ومن ثم يحظى بعنايتهم واهتمامهم . والامر على النقيض في العلوم الإنسانية ، ذلك انها تقتضى أن ينظر الفرد الى داخل نفسه يدرسها ويعرف خباياها ثم يربط ما فيها من مشاعر وانفعالات بحيط عالجه الخارجي ، لينشد السعادة والراحة والهدوء ، وهو أمر عسير عليه ولاسيما وان الحياة المعاصرة بمشاكلها المعقدة لاترك له فسحة من الوقت للتفكير والتأمل .

على أن هذا لا يؤدي أبدا الى التسليم بحظ العلوم الإنسانية من التقدم العلمي ، لانه بغیرها لن يكون التقدم التكنولوجي ، فهما مترابطان ، أو هما وجهان لعملة واحدة ، فان بدا أحدهما أظهر من الآخر فان هذا لا يعنى اطلاقا أنه أكثر منه أهمية ، فاختلال مسار صغير في آلة كبيرة قد يعطلها عن العمل ، ولعل انتشار التقدم التكنولوجي في أرجاء العالم ، ليس مرده نقل الفكر العلمي بذاته — فهذا لا يعطيه الا الخاصة — وانما نقل آثاره المادية الملموسة لأفراد البشرية .

وكانت من اثرب الدول اليها تحقيقا لاغراضها، الدول العربية وقد تم لها ما أرادت بالنسبة الى كثير من تلك الدول .

وسعت الدول المستعمرة في سبيل تثبيت أقدامها الي فرض ثقافتها الفكرية على البلاد التي سيطرت عليها ، بل لقد حاول البعض منها أن يجعل من تلك البلاد جزءا من أراضيها وأقاليها من أقاليمها .

وكانت الظاهرة الواضحة في الثقافة القانونية في المنطقة العربية — بعد السيطرة الاوربية عليها — انها انقسمت الى فلسفتين واضحتين ، اولاهما الفلسفة القانونية اللاتينية التي تتزعمها فرنسا ، والاخرى الفلسفة القانونية الانجلوسكسونية وتمثلها المملكة المتحدة . فكانت الفلسفة السائدة في الدراسات القانونية لدولة عربية متأثرة بتلك الخاصة بالذولة المسيطرة عليها ، وانه وان كانت مصر قد خرجت على هذه القاعدة ، فانها يرجع ذلك الى سبب تاريخي ، هو البعثات التي أرسلت الى فرنسا ، فضلا عن الثقافات التي حاول نابليون نقلها اليها عندما قاد حملته للاستيلاء على مصر ، ولهذا عندما فرضت انجلترا سيطرتها على مصر بالاحتلال ، لم يكن بمقدورها اقتلاع جذور الفلسفة القانونية الفرنسية بعد ان كانت قد ثبتت في البلاد . واقتصرت في فرض ثقافتها العلمية في غير المجالات القانونية .

ولم يقف الامر في غالبية الدول العربية عند اختلاف الثقافات القانونية الى الاتجاهين المشار اليهما آنفا ، بل انعكس هذا الامر وظهر هذا الامر جليا في كثير من المصطلحات القانونية ، التي اختلفت في الفاظها ومدلولاتها . فمن المعلوم أن الاحكام القانونية لا بد وان تكون منضبطة الالفاظ محددة الملول حتى تصل الي نتائج واحدة فتستقر امور الناس ولا تضطرب احوالهم نتيجة لخلاف حول تفسير بعض تلك المصطلحات .

ومن أجل ما تقدم أصبح من المألوف للباحث القانوني أن يجد الفاظا ومصطلحات في بعض المؤلفات هي بذاتها تعطي مفهومات ومدلولات مغايرة في مؤلفات أخرى ، تبعا لاختلاف المرجع التي يستقى منه المؤلف ثقافته القانونية . واحتاج الامر الى جهد لاستيعاب

ان من الامور البارزة في أيامنا هذه هو ذلك الاتجاه القوي — والذي وضعته بعض الدول موضع التنفيذ فعلا أو في سبيلها الى ذلك — نحو تقنين احكام الشريعة الاسلامية . ويعنى هذا أن تصاغ الاحكام التي أوردتها الشريعة السحاء وتتعلق بشؤون الناس في حياتهم ومعاشهم في ثوب حديث ، ييسر للأفراد الرجوع الى تلك الاحكام وتعرف أبعادها أو المراد منها . وتقول بعض الدول فقط ، لان البعض الآخر ما خرج في يوم عن أعمال احكام الشريعة الاسلامية على الصورة التي كانت عليها دوما .

وليس من منازع في ان الثقافة القانونية امر جوهري ومطلب حيوي في حياة كل أمة ، وبغيرها لن تستقر لامرأها حياة . ولا نمنى بالثقافة القانونية في هذا المجال لونا خاصا من أنواع المعرفة ، وانما نقصد بهذا قواعد عامة تحكم علاقات الناس المختلفة وترسخ في نفوسهم وتنطبع في وجدانهم ، ويشعرون بأن الخروج عليها يهددهم في امنهم واستقرارهم . وتلك الثقافة القانونية هي التي يصبغها المشرع في احكام على صورة مواد مبسطة يسهل الرجوع اليها عند الحاجة .

ولقد كانت — بل وفي رأينا مازالت — احكام الشريعة الاسلامية هي السائدة في التطبيق لتنظيم أحوال الناس في مختلف الدول العربية . ولكن لما اتسعت رقعة الدول الاسلامية صعب على كثير من الناس معرفة احكام الشريعة الاسلامية ، وكان لا بد أن يكون بين أيديهم في طريقة يسيرة وبصورة مبسطة ، ولم يكن هذا بالامر السهل لما يحتاجه من جهد وما يقتضيه من وقت . وفي تلك الآونة كانت التشريعات في الدول الاوربية — بعد ظلام العصور الوسطى وفي اعقاب ثورات التحرر ولا سيما الثورة الفرنسية — قد أخذت في الظهور والانتشار بشكل واسع ، وفي صورة مبسطة وميسرة وذات احكام جلية واضحة يسهل الرجوع اليها .

وساعد على انتشار تلك الثقافة القانونية في صورتها المستحدثة ، ما طرأ على وسائل الاتصال من تقدم ، سهل نقل الامتكار من مكان الى آخر في زمن قصير ولا يمكن أن نفعل في هذا الصدد ما يحدثنا به التاريخ عن امتداد أبصار الدول الاوربية الى الاستعمار ،

المصطلحات التي تؤدي مفهوم موحد وإن اختلفت الفاظها .

هذا — على ما سلفت لنا الإشارة — هو الوضع القائم في غالبية الدول العربية ، ويقودنا هذا السؤال الى انفتاح الفكر القانوني يؤدي لوحد المصطلحات في اللغة العربية . وهذا الامر ينقلنا بالضرورة الى الشريعة الاسلامية ، لان احكامها باللغة العربية التي تجتمع حولها الامة العربية .

ان في رأينا — كنتيجة بدء — ان تعريب العلوم الانسانية ، وبوجه خاص القانونية منها يقتضى تعريف وضع الشريعة الاسلامية بالنسبة الى تلك العلوم ، ذلك لان الايمان بما ورد فيها من احكام يؤدي بالضرورة الى تطبيق تلك الاحكام ، وهذا لن يكون بطبيعة الحال الا باللغة العربية ، وقد يبدو غريبا الربط بين اعمال احكام الشريعة الاسلامية وتعريب التعليم العالي ، وعلى وجه ادق العلوم الانسانية . ولكن بالتمعن القليل تبدو أهمية الامر ولزوم تلك الدراسة .

فلقد سبق لنا الإشارة الى ان الثقافة القانونية المتأصلة في غالبية الدول العربية تتسم باحدى الفلسفتين اللاتينية او الانجلوسكسونية ، وقلنا ايضا ان هناك حركة نشطة في تلك الدول نحو اعمال احكام الشريعة الاسلامية في صورة تقنيات مستحدثة . ومن طبيعة الامور ان يقوم صراع بين فكرين ، اولهما المتأثر باحدى الفلسفتين المشار اليهما والذي يتمسك بالمحافظة على ما فيها ، والفكر الآخر هو التيار الجارف القائم حاليا في تطبيق احكام الشريعة الاسلامية . ولا شك ان لكل من الفكرين حججه وأسانيده ، فهو لا يستوحى رايه من فراغ او يتمسك به حبا في الجادلة .

ومفهوم الصراع بين الفكرين السابقين يعنى بطبيعة الامور خلافا حول أسس ثقافة قانونية بلغة اجنبية ، وثقافة اخرى هي الاسلامية والتي كتبت بلغة عربية . ويقتضى الانصاف في الحكم معرفة أعماق وجذور كل من الثقافتين حتى تكون المقارنة والتفضيل بينهما على أساس علمي واقعي . ومن هنا كانت أهمية التعريب للثقافة القانونية الاجنبية .

ورب قائل يذهب به الفكر الى التساؤل عن الداعي للتعريب وللباعث عليه ، فما دام الاتجاه السائد في الدول العربية هو تقنين الشريعة الاسلامية ، فلتطبق

احكامها ولا حاجة بنا الى تعريف ما هو قائم في الثقافات الاخرى ؟ وهو تساؤل لا يحتاج الى طول في المناقشة او اضافة في الحجج ، بل ان التعريب في ذاته ضرورة لازمة لتطبيق احكام الشريعة الاسلامية .

ان الاتجاه السائد لتقنين الشريعة الاسلامية واعمال احكامها ليس بمعنه تعصب لفكر ديني او عقيدة دينية ، فهذا ابعد الامور عن ذلك النشاط . ولكن سهام النقد والمقاومة لهذا التيار — لسبب او لآخر — هاجمت فكرة اعمال احكام الشريعة الاسلامية وكان محور من يقاوم اتجاه التقنين هو القول بان احكامها وضعت في وقت معين لتناسب حياة الاتوام المعاصرة له ، وهي بهذا لا تصلح للتطبيق في العصر الراهن ، فاين ما فيها من نظريات بالمقارنة مع الامكار والآراء المستحدثة والمتجددة يوما بعد يوم . وقد يبدو هذا القول ذو بريق لاسيما وان سنة الحياة هي التطور والتقدم ، ولكن هل حقيقة ان الشريعة الاسلامية جامدة الاحكام مناسبة للفصور السالفة دون العصر الحديث ؟ ان الحكم في هذا هو الذي يبرز حتمية المقارنة بين الثقافة الاسلامية العربية وغيرها من الثقافات ، حتى لا ترمى حركات تقنين احكام الشريعة الاسلامية بالتعصب الديني . وتلك المقارنة — على ما سبق القول — هي التي تستلزم التعريب .

ويقتضى الحال — قبل ان تنتقل الى تعريف الفلسفة القانونية غير العربية — الى ان نتناول في ايجاز وضع الشريعة الاسلامية في صدد ما ورد بها من احكام، ذلك لان هدف التعريب في نظرنا ليس قاصرا على تعريف الفكر القانوني غير العربي فقط ، وانما غاية امرين هامين ، اولهما بيان ان احكام الشريعة الاسلامية صالحة للتطبيق في العصر الحديث ، والامر الآخر ان الفكر القانوني غير العربي لم يكن متطورا مع الايام وحده في الوقت الذي وقفت فيه الشريعة الاسلامية عن التطور .

ان الشريعة الاسلامية تفسر عن غيرها من انشراح السماوية من ناحيتين ، الاولى انها تعد آخر الرسالات السماوية ورسولها عليه الصلاة والسلام آخر الرسل وخاتم النبيين ، فليس من بعدها رسالة . وقد اقتضى هذا وجود الفارق الآخر الذي يميزها عن غيرها من الرسائل ، حيث شملت ، فضلا عن العبادات — شأن غيرها من الرسائل السماوية — الاحكام التي تنظم

شؤون الدنيا و حياة الناس و معاملاتهم .

وليس المجال هنا تناول العبادات فأساسها فضلا عن الإيمان بالله ورسوله التمسك بالفضائل ونبذ الرذائل ، وفي هذا تتفق الشريعة الإسلامية مع غيرها من الشرائع السماوية ، وإن اختلفت في بعض التفاصيل بسبب فروق الزمان والمكان وسنة التطور في البشرية والصفة الخاصة للشريعة الإسلامية ، وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

وأما الأحكام فهي بيت التصيد . فالشريعة الإسلامية كما أشرنا هي آخر الشرائع السماوية وتناولت تنظيم أحوال البشر في حياتهم ومعاشهم ، وكان من المحتم أن تكون الأحكام التي وردت بها صالحة لتحقيق هدفها ما دامت الحياة على ظهر هذه البسيطة ، ولهذا كان أمرا منطقيًا بل وحتيًا أن يقال أن الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان .

وإذا أردنا أن نتحقق في هذا الأمر قليلا لاستوجب الحال أن نسترجع في ذهننا مصادر أحكام الشريعة الإسلامية . ولا خلاف حول أن أول تلك المصادر هو كتاب الله المنزل ، هو القرآن الكريم ، وثاني تلك المصادر هو السنة الصحيحة . ثم يأتي من بعدها الإجماع والقياس ، ويضاف إلى هذا مصادر أخرى اختلف الرأي حولها . ويعنيها فيما نحن بصدد المصدر الأول ، وهو القرآن الكريم .

إن من ينظر في القرآن الكريم وما ورد به من آيات الأحكام يستلفت نظره أنها وضعت قواعد كلية . حتى وإن جاءت مناسبتها في صدد حادثة معينة أو تساؤل خاص . وتلك القواعد الكلية تتضمن علة الحكم وحكمته . ومن ثم فإنه على أساسها وفي ضوء الغاية منها يمكن أعمال الحكم على كل فرض جزئي يثور البحث حول معرفة الرأي فيه .

وورود الأحكام بالقرآن الكريم في قواعد كلية دون صور جزئية هو ما جعل الرسالة المحمدية آخر الرسالات . فلا ينكر أحد سنة التطور في الحياة ، ومنها تتطور معاملات الناس وأحوالهم . وتبعًا لتطور في حياتهم صور من التعامل ما كانت لتخطر ببال الأولين ، ولا بد من معرفة حكمها حتى تسير أمور معاشهم . فلو أن القرآن الكريم تناول أحكام الفروض الجزئية ، لانتبهنا بعد فترة من الوقت إلى أن من بين تلك الفروض ما لا محل لأعماله في العصر الراهن . وإن من الفروض ما لا يتناول حكمه ، وما هذه

بصفة آخر الرسالات . ومن أجل هذا كانت القواعد الكلية ، التي في واقعها تواجه كل تطور للحياة البشرية ، ولن يخلو القرآن الكريم من حكم عام يمكن أن ينطوى تحته كل فرض من المسائل التي تبرز في الحياة . وهذا مصداقًا لقوله تعالى « وما فرطنا في الكتاب من شيء » .

وإذا انتقلنا إلى باقى مصادر أحكام الشريعة الإسلامية الأخرى غير القرآن الكريم لا ستلفت النظر أنها كانت في صورة حلول وردود لمشاكل الناس وما يعرض لهم من أحداث يريدون تعرف حكم الشريعة الإسلامية منها . ومن طبيعة الأمور أن تكون تلك المسائل متوالية مع وقتها وعصرها ومكانها ، لاسيما إذا ما قارناها بالعصر الراهن ، فما كان يثور من مشاكل في مجتمع قبلي محدود العدد لا يطابق أبدًا ما يوجد في مجتمع متطور له كثافة سكانية ضخمة . على أن هذا لا يعنى إطلاقًا اختلاف الحلول في العصور الأولى للإسلام عنها في العصر الراهن ، ذلك لأنها تستند إلى أحكام كلية واحدة منبثقة عن مصدر أصيل هو القرآن الكريم .

ومن يطالع المؤلفات والكتب التي وضعت في عصر ازدهار الفقه الإسلامي يجدها تسير على النمط الذي أشرنا إليه ، فهي لا تعرض القواعد الكلية ثم تعمل أحكامها على الجزئيات التي تعرض لها ، وإنما تنطلق في إجابات على الوقائع القائمة والفروض المحتملة لمسألة من المسائل التي تتعلق بأحوال الناس سواء في معاملاتهم أو عباداتهم . وكانت تلك سمة المؤلفات في ذلك العصر ، ولم يكن هذا بالامر المستغرب فالمتتبع لسير العلماء المسلمين يجد أن الواحد منهم يدرس كل ما يتعلق بما يبغى التفقه فيه ، فيقرأ فلان . ويتعلم على يد فلان ، وبهذا يجمع ثمرات العلم المختلفة: فإذا ما اشتهر أمره وذاع صيته . وأصبح له تلاميذ ومريدون ، سعى الناس إليه يستفتونه في أحوالهم وما يعين لهم من مشاكل ، فيجيب عن هذا ويرد على ذلك ، ومن حوله تلاميذ واتباع يسجلون كل ما يقول ويثبتون كل ما يفتى به . فإذا تجمع له قدر من تلك الآراء جمعها في مؤلف واحد . بل قد يكون من قام بجمعها واحد من تلاميذه . ويأتي دور هؤلاء من بعده يزيدون ويعلقون . فترة على المتن شروح وشروح ، وكلها تدور في نفس الفلك الأصلي ، أي تعرف حكم

الشريعة الإسلامية في حكم الجزئيات والوقائع التي تعرض للناس . وان الرجوع الى تلك المؤلفات أو المصنفات يجد في تقديمها إشارة الى ذلك ومصداقا لسانقول .

وما ينبى التنبيه اليه ان لا تمنى الطبيعة الخاصة لتلك الكتب انتقاء الاحكام العلية التي تستند اليها ، بل ان العكس هو الصحيح . فالفقيه في الشريعة الإسلامية — على ما سلفت لنا الإشارة — ما كان يتعرض للفتوى الا اذا ألمّ بأحكام الشريعة الإسلامية فدرس القرآن والسنة النبوية ولكل من سبقه . فهو بهذا تسيطر على ذهنه قواعد كلية وأحكام عامة يستهدى بها في حل ما قد يعرض عليه من مسائل . وهذا امر لا يحتل جدلا ، وآية هذا ان المتتبع لتلك الاحكام الجزئية يجد بينها انسجاما واتفاقا مما يؤكد انبثاقها من منبع واحد . فلو لم تكن هناك احكام كلية تسيطر على فكر الفقيه لتضاربت آراؤه ، ولاضطربت فتاواه ، لا سيما اذا اخذنا في الاعتبار ضخامة المؤلفات التي خلفوها من بعدهم .

وهذه الطبيعة الخاصة للثروة العلمية التي تركها فقهاء الشريعة الإسلامية تتفق مع طبيعة ذلك العصر ، لاسباب عدة . فالامية التي تسود المجتمعات العربية كانت تدفع بالامراد الى الفقهاء يستفتونهم في شؤون حياتهم وهؤلاء يجيبون عليهم ، فلم يكن بمقدورهم الرجوع بأنفسهم الى كتب يطلعون على ما بين صفحاتها من احكام . ولم تكن هناك وسيلة في تلك الآونة لنشر المؤلفات حتى تطرح للتداول بين الناس ليسهل الرجوع اليها ، كما هو الحال في العصر الراهن ، اما المدارس التي تعنى بالشريعة الإسلامية فكانت متركزة في أولئك العلماء ومن يحيط بهم من تلاميذهم ، وهؤلاء قلة لا يوفرون بعدهم النشر للكافة . وطبيعة تلك المؤلفات كانت امتدادا في الصدر الاول في الإسلام ، حيث اعتاد الناس الرجوع الى الرسول عليه الصلاة والسلام يستفتونه في أمورهم ، ومن بعده من ولى امر المسلمين ، وكان التنسيق في كتب الفقه الإسلامي كان منحصر في تجمع حلول معينة تحت باب واحد ، ولذا نرى في تلك الكتب عناوين عديدة ، كباب الصلاة . وباب الزكاة ، وباب الجنائيات ، وباب الجهاد . الخ . ومن الملاحظ ان امهات الكتب في الشريعة الإسلامية

في غالبيتها من المخطوطات ، وما يزال الكثير منها في بعض الدول العربية ، فهي لم تطبع لتنتشر على نطاق واسع الا في عهود متأخرة عن كتابتها . ونجد مصداقا لهذا في كثير من الكتب التي تصدر في السنوات الاخيرة محققة لتلك المخطوطات .

ولقد وقفت حركة الاجتهاد في الشريعة الإسلامية نتيجة لاسباب خاصة في أحد عصور الحكم الإسلامي على ما هو معروف في التاريخ ، واصبح الفقهاء من بعد مقلدين ومرددون لقول السابقين . بل لقد وجدنا من الدول ما يقف عند مذهب معين من مذاهب الفكر الإسلامي لا يخرج عليه ولا يقبل غيره ، بل زاد الامر خطورة ان وقف الراى عند ما قال به السابقون . بل لا نكون مجانبين الحقيقة ان قلنا ان مؤلفات العصر الراهن في الشريعة الإسلامية تسير على نفس النمط الذى سارت عليه كتب السابقين ، فيما عدا بعض التغييرات الطفيفة ، التي لم تمس الجوهر . وترى ان الاطلاع على اى كتاب من كتب الشريعة الإسلامية للمؤلفين المحدثين يجهد القارئ في متابعته كالشأن بالنسبة الى مؤلفات من سبقوها من العلماء والفقهاء .

ويعرض لنا تساؤلان هامان ، أولهما هو هل وقفت احكام الشريعة الإسلامية عن مسابرة احكام التطور في حياة الناس وعلاقتهم حتى يصح القول بانها غير صالحة للتطبيق في عصرنا الراهن ، ومن ثم نبهت عن ثغافات وافكار جديدة تحكم تلك العلاقات . والسؤال الآخر ، هل هناك رابطة — على اية صورة كانت — بين الثقافة الإسلامية والاخرى الغربية ، وان وجدت تلك الرابطة ما هو مصدرها وايها اولى بالاعمال والتطبيق .

لقد عرضنا فيما سبق للصورة التي وضعت بها مصنفات الشريعة الإسلامية ، والظروف الاجتماعية التي فرضت تلك الصورة ، واكدنا ان الحلول الجزئية في تلك المؤلفات تنبثق عن قواعد عامة حصلها الفقيه من دراسات على مدى سنوات طوال حتى حق له ان يتولى امر الفتوى . وحتى نجيب على السؤال الاول الخاص بصلاحيه تطبيق احكام الشريعة الإسلامية في عصرنا الراهن ينبى بذل جهد جديد يوصل الى تلك الغاية ، والاخذ في الاعتبار بطبيعة احكام الشريعة الإسلامية .

فأما عن الأمر الأول وهو الخاص بالجهد الذي يبذل في صدد التراث العلمي الإسلامي والخاص بالأحكام ، فهو يتطلب أمرين ، أولهما استخراج الأحكام الكلية وردّها إلى أصولها في القرآن الكريم وفي السنة الثابتة ، والأمر الآخر هو وضعها في الثوب الحديث للمؤلفات العلمية .

فإذا كانت المؤلفات في الشريعة الإسلامية في عصر نهضتها العلمية تدور حول مسائل جزئية تعرض للناس ، فإن الحال يقتضى عملية استقراء لتلك المسائل والوصول عن طريقها إلى القاعدة الكلية التي أوصلت إلى تلك الحلول . وهذه القواعد الكلية يمكن أن يطلق على كل منها مصطلح نظرية ما . فالنظرية ما هي إلا فكر مجرد يتناول مسألة معينة ويؤدى في جزئياته إلى حلول متناسقة ومتوائمة لا تضارب بينها ، والا فتعدت صفتها كظرفية عامة ، أو كقاعدة عامة أو قاعدة كلية .

وتأتى بعد هذه المرحلة الأخرى في صدد مصنفات الشريعة الإسلامية ، وهي وإن بدت شكلية إلا أنها في غاية الأهمية ، إذ عن طريقها يمكن توصيل الفكر الإسلامى إلى أذهان الكافة . ويتأتى تحقيق تلك المرحلة في لباس تلك المؤلفات ثوبا عصريا ، وبوجه خاص من ناحية التيوب والتنسيق الذى يبسر للقارئ الوصول إلى الحل الذى يفي به المؤلف . فنحن في عصر اتسم بالسرعة وازدهمت فيه شؤون الحياة وتصارعت مصالح الأفراد ، وأصبحت مشكلة الكثيرين - وهم الذين يسعهم الاطلاع على المؤلفات المختلفة - الوصول إلى الوقت الكافى لعمق الاطلاع وطول الإناة في البحث . وهؤلاء إن خيروا بين كتابين أحدهما كتب بالطريقة التقليدية لمصنفات الشريعة الإسلامية والآخر وضع بثوب حديث في تقسيماته وتفرعاته ، لاخترأوا الآخر ، حيث يوفر لهم من الوقت ما هم بحاجة إليه في شأن آخر من شؤونهم ، وهذا ما يفسر لنا ظاهرة افتقار كثير من المؤلفات القانونية إلى دراسة مقارنة مع الشريعة الإسلامية ، وليس مرد هذا هو العزوف عن البحث في أحكامها وإنما هو صعوبة مسالك مؤلفاتها إذا ما تورنت بغيرها . وأنا لنجد ندرة من كتب الشريعة الإسلامية المحققة هي التي خرجت إلى الناس في ثوب حديث .

وأما وقد وصلنا إلى هذا فإنا نستطيع القول

بان كروز الفكر الإسلامى في مجال العلوم الإنسانية سوف تضىء السبيل أمام الباحثين ، وسوف يتجلى بأوضح صورة أن القواعد الكلية التي تسيطر على الشريعة الإسلامية هي الإصلاح دائما لرعاية أحوال الناس في أمور دنياهم . ومع تلك القواعد الكلية تكون الجزئيات التي قد تختلف من مكان إلى مكان أو من زمان إلى زمان ، ولكنها دائما مرجعها إلى أصل عام واحد . ولقد سبق لنا القول بأن القرآن الكريم قد أورد الأحكام الكلية ، تاركا الجزئيات للناس يضعونها الموضع الذى يتفق ومصلحهم . ألم تر أن الحدود في الشريعة الإسلامية معدودة ، وأن باب التمييز مفتوح على مصراعيه ليدخل منه الحاكم إلى كل ما يراه في صالح الناس عامة .

وإذا كان ذلك هو الفكر الإسلامى وصلاحيته للتطبيق في العصر الحديث ، فإن التساؤل يأتى عما إذا كانت هناك ثم علاقة بين الفكر الإسلامى ، والفكر في الدول المتقدمة - وقبل الإجابة على هذا - تنبؤ الإشارة إلى أن الفكر الإسلامى قد وصل إلى قمة ازدهاره في الوقت الذى كانت فيه أوروبا ما زالت تغط في ظلام العصور الوسطى ، وتلك حقيقة تاريخية . ولقد امتد الفكر الإسلامى - في مختلف صنوف المعرفة - عبر مصر وشمال أفريقيا حتى وصل إلى الاندلس . ولكن هل وقف عند هذا الحد ؟ حقيقة أن العرب لم يجتازوا الاندلس إلى فرنسا بجيوشهم ، ولكن الأمر المؤكد أنهم تخطوا تلك الحدود بأنكارهم ، فلم تكن سيطرة الحكومات على الدولة الإسلامية سيطرة عسكرية والا انتهى أمرها منذ أمد بعيد ، بسبب الرقعة من الأرض الواقعة تحت حكمها ، ولكن السبب الحقيقى في سيطرة النفوذ الإسلامى على تلك البلاد يكمن في الثقافة الإسلامية التي أثارت عقول الناس وتقبلوها بصدر رحب ، مع تضمين كلمة الثقافة أوسع نطاقاتها .

وإذا كان انتقال الجيوش والسلطان من مكان إلى آخر تحده اعتبارات وظروف مختلفة قد تقيد من حركته ، فالحال على العكس من هذا بالنسبة إلى الفكر ، حيث لا تربطه قيود ولا تمنعه ضوابط ، ومهما وضع عليه من ضغط محاولا منه الظهور ، فلا بد أن يجد له متنفسا في صورة أو أخرى تعيد إليه الحياة من جديد . وعلى هذا لم تقف العوائق الطبيعية في يوم

من الايام عائقا من نقل الافكار والفلسفات من مكان الى آخر .

واخذا مما تقدم هل يقبل القول بأن الحدود بين الاندلس التي كان يسيطر عليها المسلمون وبين فرنسا مفتاح أوروبا في ذلك الوقت منعت من نقل الفكر الاسلامي والفلسفات الاسلامية الى أوروبا . ان الواقع والتاريخ يرفضه هذا الزعم ، ولن نكون مجانبين للحقيقة ، اذا قلنا ان كثيرا من النظريات التي تبناها الفكر القانوني الفرنسي والتي انتقلت الى كثير من الدول العربية كالفلسفة القانونية لاثينية ترد في اصلها ومنبتها لثقافة من الشريعة الاسلامية .

وفي رأينا ان من تلقى ثقافته القانونية في فرنسا وكتب يوما مؤلفا في القانون فانه قد جاء متأثرا بالفكر اللاتيني ، وهو يجعل مراجعته فيما يكتب امهات الكتب الفرنسية . ويقف جهد الباحث عند هذا الحد ، الا يعتمد على فكر حديث في الوقت الذي وقف فيه الاجتهاد في الشريعة الاسلامية . وكان هذا هو دور الرواد الاول في الفكر القانوني العربي ، يستوى في هذا من تلقى ثقافته في البلاد التي تعتنق الفلسفة اللاتينية او تلك التي تأخذ بالفلسفة الانجلوسكسونية . ولو بذل اولئك المؤلفين جهدا اكبر وساعدتهم ظروفهم وردوا بالفلسفات الغربية — لا سيما اللاتينية منها — الى اصول لها لوجدوا الكثير منها قد استمد من الفقه الاسلامي .

وعود على بدء ، فلقد سبق لنا القول بأن الفكر الانساني وحدة مترابطة ، وحلقات متكاملة في سلسلة واحدة ، وان لكل تطور فيه منبع مهمما تغير المكان او اختلفت الأزمان . وفي رأينا ان الفكر الاوربي والثقافة الغربية لها جذورها في الشريعة الاسلامية ، ولن ينحصر هذا بأمرين الاول منهما نقل الفكر الاوربي — وبوجه خاص امهات الكتب في الثقافة القانونية — الى اللغة العربية ، فلم يعد ميسرا لابناء الجيل الراهن الرجوع الى الكتب الاجنبية بسبب المستوى الذي

وصلوا اليه في الالمام بهذه اللغات ، فما من سبيل الى نقلها اليهم الا باللغة الميسرة لهم وهي اللغة العربية . وليس الامر بواقف عند هذا الحد ، بل ان النقل فضلا عما يؤدي اليه من اثرات في المعرفة باللغة العربية ، يجمع ابناء الامة العربية جميعا حول لغتهم وتبعها تتوحد ثقافتهم وتبرز قوتها في النطاق العالمي . والامر الآخر ان تتوحد المصطلحات التي تستخدم في الفكر القانوني ، فمن الملاحظ اختلافها وما تؤدي اليه من مدلول ، ولا شك في ان توحيد تلك المصطلحات يوصل الى تناسق وتجانس في الفكر ، وتبعها الى وحدة الاصاله الفكرية المستمدة من التراث الاسلامي والعربي .

ونقل الفكر القانوني غير العربي الى اللغة العربية سوف يشجع على الدراسة والمقارنة ثم التفاصيل بين مختلف النظم القانونية ، ولسنا مبالغين لو قلنا ان نقل تلك الدراسة سوف تؤدي الى اثبات سمو الفكر الاسلامي والعربي ويشجع هذا الى عملية عكسية ، هي نقل تلك الدراسات المقارنة الى اللغات الاجنبية ، ويعود من جديد الدور الثقافي الذي ينبغي ان تقوم به الشريعة الاسلامية في تطوير الفكر الانساني . ولعل ما يؤدي هذا القول ما يلاحظ من اقبال المفكرين من الغرب على دراسة الانظمة التي تطبقها الدول العربية والمتصلة في الشريعة الاسلامية ، وكذلك اتجاه كثير من الجامعات الاجنبية الى تخصيص أقسام لدراسة الشريعة الاسلامية لمعرفة القوة التي بها والتي يلتف حولها ملايين البشر .

وخلاصة القول ان نقل الفكر الانساني في مجال العلوم القانونية الى اللغة العربية هو من اكبر العوامل التي تبرز سمو احكام الشريعة الاسلامية واصالتها، وانها كانت وما زالت منبع الفكر لكثير من الانظمة الحديثة . وتلك خدمة للامة العربية والاسلامية، ان الوقت ان يسهم فيها كل من تيسر له ذلك مهما قل انصيب او ضعف الجهد ، فالمتضامن والتعاون موصل الى الغاية باذن الله وهو الموفق .

نظرة في معاجم اللغوية

الأستاذ: عيسى فتوح

العرب ، بأن الفيا باب الحرف الاخير وفصل الحرف الاول للاصل الثلاثى للكلمة ، واكتفيا بباب الحرف الاول ثم طبعا في ثلاثة اجزاء فقط ، فوفرا بذلك العمل الكثير من الوقت والجهد على المراجع .

علة هذه المعاجم جيبما هي تحجرها وجبودها ، ذلك انها تعنى باثبات الالفاظ القديمة حتى ولو كانت غريبة وميتة ، وتحاول توضيحها والاستشهاد عليها بالقرآن والحديث والشعر الذى يحتج به ، وتهمل كثيرا من الالفاظ والاستعمالات الجديدة التى وردت على السنة الشعراء والكتاب المتأخرين ، فالاحتجاج يقف عند هؤلاء المؤلفين عند نهاية العصر الاموى فقط ، ولا يمتد الى العصر العباسى ، بحجة أن اللغة فشا فيها الكثير من اللحن والخطأ على السنة العامة من الناس ، لاختلاط العرب بالاعاجم من فرس وروم واتراك وغيرهم .

الواقع ان هؤلاء العلماء كانوا شديدي التزم ، متحفظين أكثر من اللازم ، الامر الذى دفع المستشرق الهولندى « دوزى » الى تأليف معجم ضخيم سماه « ملحق المعاجم العربية » نشره في ليدن ، في مطلع هذا القرن .

لقد بين دوزى أن واضعى المعاجم العربية كانوا راغبين عن استعمال أى كلمة لا تمت بصلة الى لغة القرن الهجرى الثانى وما قبله ، واتفق فيه عند الزمن

لو رحنا نحصى أسماء معاجمنا اللغوية التى الفت على مدى عشرة قرون ، منذ أن صنف الخليل بن أحمد الفراهيدى أول معجم له وهو «كتاب العين» حتى اليوم لبلغت العشرات طبع بعضها ، وما يزال بعضها الآخر مخطوطا . من هذه المعاجم المطبوعة الميتة — اما لقلّة استعمالها ، واما لانها توقفت عند عصر معين — يمكننا أن نعد : «الجمهرة» لابن دريد» ، «التهذيب» «لابى منصور الهروى» ، «المحكم» لابن «سبده الاندلسى» «المجلد» و «مقاييس اللغة» لابن فارس» ، «أساس البلاغة» «للزمخشري» ، «النهاية فى غريب الحديث» «لابن الاثير» ، «المصطلح المنير» «للفيومى» ، «تاج اللغة وصحاح العربية» «للجوهرى» ، «لسان العرب» «لابن منظور» ، «القاموس المحيط» « الفيروزابادى » الذى شرحه المرتضى الزبيدى فى القرن الثالث عشر الهجرى وزوده بالشواهد الكثيرة فى معجمه «تاج العروس» .

هذه المعاجم على كثرتها ، غير كافية لانها بعيدة جدا عن مقتضيات العصر ، وما تتطلبه وسائل البحث الحديثة من سهولة ووضوح وقرب مأخذ ، وانطلاقا من هذا المبدأ فقد عبد الاستاذان يوسف خياط ، ونديم مرعشلى فى بيروت الى تغيير طريقة الكشف فى لسان

الازهرى ، و «وصحاح» الجوهري ، و «محكم» ابن سيده ، و «نهاية» ابن الأثير ! .

المعاجم الحديثة :

استمرت الحال كذلك حتى القرن الثامن عشر ، حينما تنبه المطران جرمانوس فرحات الطبى (1670 - 1732) الى ظاهرة توقف المعاجم عند تاريخ معين ، ولاحظ هذه الفجوة الكبيرة بينها وبين لغة ما يكتب وينشر ، فهى فى واد واللغة فى واد آخر ، فألف معجمه « أحكام باب الاعراب » الذى اعتمد فيه على القاموس المحيط ، والمصادر التى نقل عنها ، فأخذ منها ما أهمله القاموس من الفاظ ، وأضافها اليه من جديد ، نجاعت مكملة له ، ملتزمة بمادته كل الالتحام .

ثم تلاه احمد فارس الشدياق (1804 - 1888) الذى ألف معجمه « الجاسوس على القاموس » فى نقد القاموس المحيط نجاء فى حوالى سبع مئة صفحة ، وكانت غايته منه الوصول بالمؤلفين الى إيجاد معجم عربى حديث يستوعب أكبر عدد من الالفاظ الدقيقة المستعملة فى أقل عدد من الصفحات .

لم يكتب الشدياق بهذا القاموس ، بل ألف معجما جديدا اعتمد فيه على مخارج الحروف وعلى القلب والابدال أسماء « سر الليل فى القلب والابدال » جمع فيه المفردات المتداولة والمترادفات ، وما استدركه على الفيروزابادى من الالفاظ والمعانى .

لقد كانت غاية الشدياق من معجمه إبراز فضل اللغة العربية وايضاح مزاياها ، والسمى الى اثبات حقيقة مرونتها ، وأنها غير قاصرة عن استيعاب العلوم والمصطلحات المصرية .

ثم سار على منواله فى حركة الاحياء اللغوى عالمان لبنانيان آخران هما بطرس البستاني (1819 - 1883) صاحب « محيط المحيط » الذى رتب مواد ترتيبا هجائيا سهلا ، واقتصد فى الشواهد والنصوص ، وسعيد الشرتونى (1849 - 1912) صاحب « أقرب الموارد فى نصيح العربية والشوارد » الذى لقي رواجاً أكثر بسبب أحكام ترتيبه ، واختصار شواهد .

وما ان اطل القرن العشرون حتى ظهرت العناية

الذى بدأ فيه العرب يحتلون مكانتهم فى ركب الحضارة العالمية ، ويتقبلون كثيرا من الالفاظ الجديدة التى ترجع بأصولها الى اللغات الأجنبية ، كى يعبروا عن الاشياء والافكار الجديدة .

ان اهمال معاجمنا القديمة الكثيرة من الالفاظ والاستعمالات الحديثة فى ازهى عصور الحضارة العربية - كالعصرين العباسى والاندلسى - اصاب اللغة فى الصميم وجعلها تفقد جانبا كبيرا من مرونتها وطواعيتها ، وتتخلف عن مواكبة الحياة ، وتبقىها هياكل محنطة لا يجرؤ اى كاتب أو شاعر أن يخرج عن الحدود الضيقة التى رسمتها هذه المعاجم .

ولكى لا يختلط كلام العرب الدخيل بالكلام الفصح فى معجم واحد ، عمد الجواليقى فى القرن السادس الهجرى الى تأليف كتاب خاص أسماه «المرب» جمع فيه الالفاظ التى لم تدخل المعاجم ، لأنها جاءت بعد القرن الهجرى الثانى ، وكذلك فعل الشهاب الخفاجى فى كتابه « شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل » .

لاشك فى أن المعاجم العربية القديمة غنية المادة ، تدل على اطلاع واسع ، ومجهود كبير فى الجمع والتصنيف ، ولها قيمة تاريخية لا تنكر ، وستظل خير مورد لنا فى معرفة أصول الكلمات ، ومعانيها الغريبة ، وعباراتها الغامضة ، الا انها كثيرا ما تخطئ فى ضبط الكلمات ، وتكثر من ايراد المترادفات والاستشهادات من القرآن والحديث والشعر الجاهلى والاسلامى ، ولا تقبل الا ما أخذ عن البداية ، وتقف فى الاحتجاج عند القرن الهجرى الثانى ، مهمله جميع العصور التى تعاقبت بعد ذلك ، فلم تمثل بذلك العصر الذى جمعت فيه ، وكان اللغة تجمدت عند هذا القرن ، ولم تتطور او تستفيد من لغات الأمم والشعوب التى امتزجت فيها ، وصارت جزءا لا يتجزأ من الأمة العربية .

لقد اغفلت هذه المعاجم قانون التطور الذى يقضى بأن تساير اللغة العصر ، وتتابع سير الحياة والمجتمع الذى عاشت فيه ، بالاضافة الى ما ورد فيها من حشو وتكرار واجترار ، يأخذ باللاحق عن السابق ، حتى أن ابن منظور صاحب أكبر معجم عربى وهو «لسان العرب» يعترف بأنه لم يفعل شيئا أكثر من أنه جمع « تهذيب » .

تد سار فيه شوطا طويلا ، فأكمل المجمع ما بدأ به نيشر ، ونشر عام 1956 جزءا منه في حوالى خمس مئة صفحة ، ضم الفاظا حديثة الى جانب الفاظ التي كانت سائدة في الجاهلية وصدر الاسلام ، وأخذ بنصيب وافر من المصطلحات العلمية والتاريخية والجغرافية وأسماء الاعلام ، والتزم ببدا تقديم الافعال على الاسماء والمجرد على المزيد ، واللازم على المتعدى ، والحسى على المعنوى ، والحقيقى على المجازى .

الا ان المعجم الوسيط الذى صدر بعده بجزئين كبيرين وفي حوالى الف ومئة صفحة لسد حاجة الطلاب والمدارس ، كان اكثر استعمالا ، واوفى بحاجة الراغبين في البحث السريع والدقيق ، فقد جاء محكم الترتيب ، واضح الاسلوب ، سهل المأخذ ، مزودا بالصور ، بالاضافة الى احتوائه طائفة كبيرة من مصطلحات العلوم والفنون واسماء الاعلام البارزين ، والامكن ، على نمط معجم «لاروس» الفرنسى . والاهم من ذلك كله انه ضم جميع مفردات اللغة تديبها وحديثها ، واخذ بما استقر من الفاظ الحياة والناس .

كما انه رتب الكلمات حسب نطقها ، لا حسب تصريفها ، اذ لا يستطيع التلميذ الحديث السن أن يبرد الكلمة الى اصلها الثلاثى ، لينطلق في معرفة باقى معانيها — ومثل ذلك فعل جبران مسعود في الرائد ، ومؤلفو المنجد الابجدى — ، وسهل الشرح ، وكتب بلغة العصر وروحه ، واكتفى بالضرورة من الشواهد لثلا يضيع المراجع في متاهاتها وتشعباتها ، وطور اللغة ، فقام السماعى ، وقيل الكثير من الفاظ المولدة والمحدثة أو المعربة ، أو الدخيلة ، وفتح المجال للعديد من الفاظ الحياة العامة ، والفاظ التي أدخلتها الحضارة ، ويكتفيه شهرة أنه جدد اللغة ، وجعلها عصرية ، وهدم الحدود الزمانية والمكانية التي أقيمت خطأ بين عصور اللغة المختلفة .

ما أحوجنا اليوم الى معاجم عصرية ، تتجدد طبعاتها كل عام ، فتضم اليها كل ما دخل اللغة من الفاظ حديثة وتبناها ، لان لغتنا كغيرها من اللغات لا يمكن أن تعيش معزولة عن سائر اللغات العالمية ، تأخذ منها وتعطيها ، تستفيد منها وتفيدها ، ولا معنى لادعاء البعض أن اللغة العربية قاصرة عن استيعاب مصطلحات

الخاصة بالمعاجم ، ولا سيما الصغيرة الحجم مثل «مختار الصحاح» «للرازى» و «المصباح المنير» «للفيومى» ، لكنهما يظلان ناقصين عن استيعاب الفاظ والكلمات الحديثة المستعملة التي يحتاجها الكاتب، وتقتضيها طبيعة العصر ، الى أن ظهر معجم «المنجد» للاب لويس معلوف اليسوعى في طبعته الاولى عام 1908 وهو معجم صغير سهل الاستعمال ، تتالت طبعاته بسرعة هائلة حتى الآن اثنتين وعشرين طبعة ، ثم اضيف اليه في الطبقات الاخيرة قسم جديد للاداب والعلوم وفهرس للاعلام ، وقد سار في طريقته على منهج معجم «لاروس الصغير» وخاصة في قرب مأخذه ووسائل ايضاحه ، ولوحاته وصوره ورسومه .

كذلك أخرجت مطابع لبنان معجمين حديثين آخرين هما «الرائد» لجبران مسعود الذى رتبت مواده حسب لفظ الكلمة دونما حاجة للرجوع الى اصلها الثلاثى ، وخلال المراجعة يبين ذلك الاصل ويضبط عين المضارع ، اما المعجم الآخر فهو «المنجد الابجدى» الذى صدر عن دار المشرق ويتبع الطريقة نفسها ، وفي المعجمين جهد واضح ورغبة ظاهرة في تيسير المراجعة والبحث ، لكنهما اغفلا كثيرا من المصادر والجموع ، وشنتا المادة اللغوية في اماكن متعددة .

المعجم الوسيط :

اللغة كل متصل الاجزاء ، لا يمكن أن يفصل حاضره عن ماضيه ، والعربية — ككل لغات العالم — لها ماضيها الخالد ، وحاضرها الحى ، ومستقبلها المشرق فكيف نتف بها عند القرن الثانى أو القرن الرابع الهجرى؟ اذا توقفتنا بها عند زمن معين — كما فعل علماء اللغة والنحو ومؤلفو المعاجم القديمة — قضينا عليها بالموت تضاء مبرما ، ولذلك يجب علينا اليوم أن نؤلف معاجم يتصل فيها حاضر اللغة بماضيها ، ويحفظ فيها ما جدد واهل لقللة الاستعمال — كما تحفظ الموميات في المتاحف — الى جانب الفاظ الحية ، والكلمات المستعملة . اللغة كائن حى يجب أن تتجدد خلاياه باستمرار لئلا يندثر ويموت ، ومن هذا المنطلق نهض مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 1946 لتأليف معجم كبير و آخر وسيط مستعينا بالمستشرق الالمانى الدكتور «نيشر» الذى عنى بالمعاجم العربية ، ورغب أن يتهج فيها نهجا جديدا ، لكن الرجل توفى عام 1949 دون أن يحقق العمل المرجو ، وان كان

العلوم والفنون والتكنولوجيا الحديثة ، وأنها لغة لا تقبل
التجديد والتطور .

يمكن أن تسير لغتنا الجديدة جنباً إلى جنب مع
لغتنا القديمة ، فيستعمل الكاتب ما يشاء من اللفاظ
والتعابير ، ولا بأس أن يلجأ إلى القياس والنحت
والاشتقاق ، عندما تقتضيه الضرورة ، وأن يبتكر اللفاظ
جديدة وعبارات لم تكن من قبل ، فاللغة تحيا على السنة
الناس ، وأقلام الكتاب ، وليس في المعاجم التي تحفظها
وتصونها فقط .

المصادر :

- 1 - نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب
(في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا)
الجزء الأول - الدكتور أمجد الطرابلسي -
مطبعة الجامعة السورية 1955
- 2 - حركة الأحياء اللغوي في بلاد الشام
- الدكتور نشاة ظبيان - مطبعة
سميراميس دمشق - 1976
- 3 - في اللغة والأدب - الدكتور إبراهيم بيومي
مذكور - اقرا - 337 - يناير 1971



الكلمات غير الفصاح في معجم الصحاح

الأستاذ: سميح ابومغلي

ويقول الجوهري في مقدمة صحاحه : قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله تعالى منزلتها ، وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها بعد تحصيلها رواية ، واتقانها دراية ، ومشافهتي بها العرب العاربة والمستمرية في ديارهم بأبادية ، ولم آل في ذلك نصحا ، ولا اخذت وسعا ..

وجاء في كلمة الإهداء التي كتبها معالي السيد حسن شربتلى لطبعة دار الكتاب العربي بمصر - وقد طبعت على نفقة معاليه بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار سنة 1376 هـ 1956 م - ان الصحاح أول معجم عربي صحيح جمع من الفاظ كلام الله عز وجل وحديث رسوله الصادق الأمين ما به الحاجة إليه وجمع من كلام العرب ما صح ونقى ، ونفى عن صحاحه ما لم يطمئن إلى صحته ونقائه ..

اثن فسبب تسميته بالصحاح أو صحاح اللغة انه ضم الكلم الصحاح والمفردات الفصاح من لغة الضاد . بل لقد توخى الجوهري مزيدا من التوسل إلى الصحة إذ استعمل الضبط بالحروف لما وجد من طرود التصحيف على نطق الكلمات في المعاجم السابقة عليه ، مثل الجبهة وتهذيب اللغة (2) .

ولقد لاحظ الدكتور عبد الله ترويش لدى الجوهري عدة هنوات ، كما افل كثيرا من الكلمات الصحيحة .

معجم « تاج اللغة وصحاح العربية » المعروف بمعجم الصحاح من المعاجم المتبعة العريقة ، ألفه صاحبه الشيخ أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة 398 هجرية على طريقة القافية ، أي أن المفردات في هذا المعجم مرتبة بحسب حروفها الأواخر، فإذا اتحدت الأواخر كان التمييز بينها بحسب الأوائل، وبغاد هذا أنك تجد كلمة (علم) مثلا في (باب الميم) وهو آخر حرف من الكلمة ، وفصل (العين) أول حرف، كما تجد كلمة (أسف) مثلا في (باب الفاء فصل السين) . لان الهزة فيها زائدة على الاصل ، وهكذا .

ولقد كان معروفا بين اللغويين والمثقفين ان الجوهري هو امام تلك المدرسة عن اصحاب المعاجم التي اعتمدت نظام القافية في ترتيب المفردات ، الى ان اثبت الدكتور احمد مختار عمر ، من خلال دراسته لمعجم ديوان الادب للفارابي المتوفى سنة 350 هـ ، ان فضل السبق في ذلك يعود للفارابي . على انه بات من المؤكد الآن ان أول (1) من ابتدع هذا النظام في ترتيب المعاجم هو أبو بشر اليمان بن أبي اليمان المتوفى سنة 284 هـ ، وسار على طريقته كل من الفارابي والجوهري . ثم تبع نظام القافية بعد ذلك كل من ابن منظور في لسان العرب ، والفيروزآبادي في القاموس المحيط والصفهاني في العباب والزبيدي في تاج العروس والشيرازي في المعيار .

(1) انظر : (في علم اللغة العام) للدكتور عبد الصبور شاهين ص 215 و (الازهرى في تهذيب اللغة) ص 114 .

(2) في علم اللغة العام ص 216 .

الالفاظ المعربة في صحاح الجوهري

1 - الالفاظ المعربة عن الفارسية (3) وهي :
(مع ذكر الجزء والصفحة من معجم الصحاح ازاء كل منها) :

- الابريق 4 - 1449 ، الأجر 2 - 576 ،
الاستبرق 4 - 1450 ، الاسفنت 3 - 1131 ، الاوان
او الايوان 5 - 2076 ، البارياء والبورياء 2 - 598 ،
البالة 4 - 1642 ، البالفاء 4 - 1317 ، البردج
1 - 299 ، البرق 4 - 1450 ، بسطام 5 - 1872 ،
البند 1 - 447 ، البهطه 3 - 1117 ، البوس 2 -
907 ، بريم 5 - 1870 ، ترهات 6 - 2229 ،
ترياق 4 - 453 ، جاموس 2 - 912 ، جداد
1 - 450 ، جريان 1 - 99 ، جردبان 1 - 99 ،
الجرم 5 - 1885 ، الجل 4 - 1658 ، جلاهق
4 - 1454 ، جلسان 2 - 911 ، جهنم 5 - 1892 ،
الجوز 2 - 268 ، الحب (بمعنى الخابية) 1 - 105 ،
الخلنج 1 - 312 ، الخورنق 45 - 1468 ،

وان المتتبع لحاشية ابن برى او تكلمة الصافاني يرى
كيف انهما استدركا على الجوهري كثيرا من الصحيح
الذي تركه مما ذكره الخليل بن احمد الفراهيدي نسي
معجمه (العين) ، وقد عقد السيوطى فى (المزهرة)
بابا سماه (ذكر ما اخذ على صاحب الصحاح من
التصحيف) .

ويقف معجم الصحاح ، بمجلداته السبعة ، فى
خزانة كبرى بمكان ينم عن بالغ حبه له ، وعظيم
تقديرى لصاحبه ، وانسى اذ اقلب صفحاته مداعبا
احيانا ، ودارسا او باحثا احيانا اخرى يلفت
انتباهى وجود كلمات اعجبية معربة فيه ،
فيحفظنى ذلك للتعرف على هذه الكلمات الغريبة القابعة
بين ظهرائى الكلمات الصحاح ، فانوم باحصائها فالتى
مائتين وسبع كلمات نص الجوهري نفسه على انها غير
عربية الاصل .

وها انذا اصنفها مرتبة حسب مصادرها مرة ،
ومجالات استعمالها مرة اخرى ، مع ملاحظات عليها ،
وتوثيق لها لدى معاجم اخرى .

(3) وعند الرجوع الى المعجم الفارسى الانجليزى :

Persian English Dictionary, by F. Steingass, University of Munich.

للتأكد من ان هذه الكلمات من اصل فارسى بالفعل تبين ان صاحب هذا المعجم الدكتور ف . ستانفس
يُرَدِّد 13 من هذه الالفاظ الى الاصل العربى هى : البوس ، ترهات ، جهنم ، الحب ، الخلنج ، الدرهم ،
الدورق ، الطاق ، الطسق ، العراق ، النهيخ ، الموق ، الهلاج . (راجع المعجم الفارسى المذكور فى
الصفحات على التوالى 206 ، 298 ، 382 ، 410 ، 472 ، 508 ، 548 ، 806 ، 815 ، 841 ،
945 ، 1346 ، 1511) مع ان اصحاب المعاجم العربية ينفون عن هذه الالفاظ سمة العروبة .
كما ان الدكتور ستانفس يغفل فى معجمه ذكر 11 من هذه الالفاظ مما يدل على انها ليست فارسىة
الاصل ايضا ، وهى : اسفنت ، البالفاء ، بسطام ، بريم ، جلسان ، الزنبق ، الزنفليجة ، سفاسق ،
شفارج ، الشوذر ، الوَجَّ .

ويقرر كذلك ان خمسة الفاظ مما رسمه الجوهري بالفارسية هى مشتركة بين العربية والفارسية ، اى
انه لم يستطع التأكيد على انها عربية الاصل او فارسىة ، وهى : البرق ، ترياق ، دهليز ، طنبور ،
تقدان (راجع المعجم الفارسى صفحة 176 ، 298 ، 549 ، 820 ، 981 على التوالى) .
كما يقول ان الكلمتين التاليتين هما من اصل يونانى :

المنجنيق والياتوت (انظر صفحة 1324 ، 1527) - وارى ان (المسك) تنحدر من اصل هندى
لا فارسى ، على تقيض ما يقرره الجوهري وستانفس (ص 1247) كلاهما وكذلك ابن منظور فى لسان
العرب (انظر ج 10 ص 487 والجوابتى فى العرب ص 373 وقد استعملنا اللفظة فى الجاهلية قال الامشى
بيابل لم تعمر فجات سلانة
تخالط قنديدا ومسكا مختما

ودليلى فى ان (مسك) هندية الاصل ان العرب الاوائل والمستعربين ظلوا الى وقت متأخر يرون
ذلك قال ابو الضلع السندى احد شعراء الموالى فى معرض مدحه للهند :

فمنها المسك والكانفور والعنبر والمندل

واصناف من الطيب ليستعمل من يتسل

(انظر الحيوان للجاحظ 7 - 50) .

وانظر ايضا « تحقيق بعض الالفاظ الهندية المعربة » - مجلة كلية آداب القاهرة عدد 13 ص 62 .

528 ، كسرى 2 — 806 ، الكمك 4 — 1605 ، اللجام
 5 — 2027 ، المالح 1 — 342 ، المزاب 1 — 232 ،
 الملح 1 — 340 ، المزابية 1 — 135 ، المساق 4 —
 1494 ، المسك 4 — 1608 ، المتجر 2 — 799 ،
 المنجنيق 4 — 1454 ، المعرق 4 — 1569 ، المهندس
 2 — 929 ، الموزج 1 — 341 ، الموق 4 — 1557 ،
 النشا 6 — 2510 ، الهريذ 2 — 573 ، الهلاج 1 —
 351 ، الهنداز 2 — 899 ، الوج 1 — 347 ، الياتوت
 1 — 271 ، اليرندج والارندج 1 — 318 ، اليلمق
 4 — 1571 .

2 — الفاظ معربة عن الرومية :

الاقانيم 5 — 2016 ، البطريق 4 — 1450 ،
 حزيان 2 — 629 ، السجندل 5 — 726 ، شباط
 3 — 1130 ، الصبح 1 — 325 ، التقيمة 5 — 2015 ،
 كاتون 6 — 2189 ، ملطية 3 — 1162 ، هرقل 5 —
 1849 .

3 — الفاظ من لغات اخرى :

البطاطة 4 — 1450 ، (بلغة اهل مصر) ، البهار
 2 — 599 (تبطية) الحندقوق 4 — 1456 ، (تبطية)
 الزرمانقة 4 — 1490 (عبرانية او فارسية) ، السبابجة
 1 — 320 (قوم من السند) السقرقح 3 — 1230
 (حبشية) ، تارون 6 — 2182 (عبرانية) .
 4 — الفاظ لم يذكر مصدرها (4) :

الدخدار 2 — 655 ، الدراينة 5 — 2112 ، الدرز
 2 — 875 ، الدرهم 5 — 1918 ، الدشت 1 — 249 ،
 الدكان 5 — 2114 ، الدلق 4 — 1476 ، الدمق 4 —
 1477 ، الدهليز 2 — 875 ، الدورق 4 — 1470 ،
 الدولاب 1 — 125 ، الديابوذ 2 — 564 ، الديباج 1 —
 312 ، الديسق 4 — 1474 ، الرزداق (والرستاق)
 4 — 1481 ، الرمق 4 — 1484 ، الزاج 1 — 321 ،
 الزئبق 4 — 1488 ، الزرجون 5 — 2130 ، الزرمن
 5 — 2131 ، الزرنايقة 4 — 1490 ، الزماورد 1 —
 547 ، الزرنفيلة 1 — 320 ، الزيج 1 — 321 ، السبع
 1 — 321 ، السرق 4 — 1496 ، سفاسق 4 — 1497 ،
 السكر 2 — 688 ، السبرج 1 — 322 ، الشاروف
 4 — 1381 ، الشخارج 1 — 324 ، الشوخر 2 — 695 ،
 الصاروج 1 — 325 ، الصرد 1 — 493 ، الصرم
 5 — 1965 ، الصك 4 — 1596 ، الصولجان 1 —
 325 ، الطابق 4 — 1513 ، الطارمة 5 — 1973 ،
 الطاق 4 — 1519 ، الطراز 2 — 880 ، الطسق 4 —
 1517 ، الطنبور 2 — 726 ، الطيلسان 2 — 941 ،
 العراق 4 — 1523 ، الفرائق 4 — 1543 ، الفرزدق
 4 — 1543 ، الفرسخ 1 — 428 ، الفنزج 1 — 336 ،
 الفنج 1 — 336 ، الفيهج 1 — 336 ، الفيج 1 — 337 ،
 القريق 4 — 1548 ، القندان 1 — 524 ، القفشليل
 5 — 1803 ، توش 3 — 1017 ، التمران 6 — 2462 ،
 الكرباس 2 — 967 ، الكرج 1 — 337 ، الكرد 1 —

(4) وقد بحثت عن هذه الالفاظ في المعجم الفارسي الانجلىزى المشار اليه ووجدت ان الحكور ستانفيس يرد
 21 كلمة منها الى العربية وهي آزر ، اسحق ، اسرافيل ، بخت ، بن بنگ ، توتياء ، جيت ، حران ، داود ،
 راتود ، زمرد ، سراويل ، صغفوق ، صنجة ، صنم ، صهريج ، طسوج ، طيجن وطاقن ، عزيز ،
 قوائين .

ولا يعنى عزوه هذه الكلمات الى العربية انها عربية فعلا ، فلقد ائكرها علماء العربية وقالوا انها غير عربية
 الاصل ، بل ان بعضها يخالف النسخ العربي مثل صنجة وصهريج وطاقن وطيجن اذ لا يجمع في اللغة
 العربية صاد وجيم او طاء وجيم في كلمة واحدة .
 ولكن الغريب ان المعاجم القديمة كلسان العرب والمحيط لم تذكر اصل هذه الكلمات واكتفت بقولها
 انها معربة او غير عربية باستثناء (سراويل) اذ جاء في اللسان ج 11 ص 334 وفي المحييط ج 3 ص
 406 انها فارسية .

والاغرب من ذلك ان بعض المحدثين غزوا (توتياء) الى الالمانية (انظر : غرائب اللغة العربية للاب
 رفائيل نخلة اليسوعى ص 218) . ولست اُخال احدا يظن ان هذه اللفظة التي استعمالها العرب قبل
 القرن الرابع الهجرى ونكرها الجوهرى في معجمه في ذلك القرن جاءت من الالمانية او ان الالمانية التقت
 مع العربية في تلك الايام .

وقد ذكر الاب انستاس ماري الكرملى في كتابه نشوء اللغة العربية — ص 211 — ان اسرافيل عبرية .
 ويرد ستانفيس في معجمه الفارسي الانجلىزى الكلمتين اصطلل وافرير الى اليونانية (ص 68 ، 82
 على التوالي) وفي غرائب اللغة العربية ص 277 اصطلل لاتينية .

الهاون 6 — 2218 ، الهلhel 5 — 1852 ، هميان
 6 — 2536 ، اليارق 4 — 1571 ، يعقوب 1 — 186 .
 واذا نظرنا في المجالات التي استعملت فيها هذه
 الالهاظ المعربة المذكورة في معجم الصحاح للجوهري
 فان يتقدورنا ان نمنفها حسب المجالات التالية :

1 — أسماء اعلام مثل : ابراهيم ، آزر ، اسحق ،
 اسرافيل ، بابل ، بسطام ، داود ، صنفوق ، عزيز ،
 فرزدق ، قابوس ، قارون ، كسرى ، هرقل ، يعقوب .

2 — القاب واقوام : البطريق ، البيازرة ،
 الجرامقة ، الدراينة ، الصهاجة ، المزارية ، الهريذ ،

3 — مدن وامكن : بغداد ، حران ، جلق ،
 الخورنق ، العراق ، القريق ، مارستان ، مازرجس ،
 ملطية .

4 — ملابس : الابريم ، الاستبرق ، الجداد ،
 جرموق ، جورب ، خدار ، درز ، ديابوز ، ديباج ،
 زرمانقة ، سبيحة ، سراويل ، سرق ، شوخر ، طراز ،
 طيلسان ، القز ، الكرياسي ، المسائق ، الموق .

5 — اوانى واوعية : الابريق ، الباطية ، الباله ،
 الجوالق ، الحب ، الدورق ، الدولاب ، الديسق ،
 الراتود ، الصهريج ، الفيهج ، الكيلجة .

6 — ادوات ولوازم : الاجر ، بطاقتة ، بهار ،
 بريم النجار ، توتياء ، الجص ، الخوان ، دبوس ،
 زرفين ، الزيج ، السنجنجل ، الشاروف ، الشهور ،
 الصاروج ، الصولجان ، الصبح ، صنجة الميزان ،
 الطابق ، الطنبور ، الطيجن او الطاجن ، القبان ،
 القفندان ، القفسليل ، الكوس ، اللجام ، الملاج ،
 المنجنيق ، الهاون ، هميان الدراهم .

ابراهيم 5 1871 ، ابريسم 5 — 1871 ، اجاص
 3 — 1029 ، آزر 2 — 578 ، اسحق 4 — 1495 ،
 اسرافيل 4 — 1373 ، اصطبلق 4 — 1623 ، افريز
 2 — 883 ، اهليلج 1 — 351 ، الباطية 6 — 2281 ،
 البخت 1 — 243 ، بغداد وبقدان 2 — 561 ،
 بقم 5 — 1873 ، البن 5 — 2081 ، البنك 4 — 1576 ،
 النبوى 3 — 1031 البيازرة 2 — 589 ، التوتياء
 1 — 245 ، الجبت 1 — 245 ، جريز او قريز 2 —
 864 ، 888 ، الجردقة 4 — 1454 ، الجرموق 4 —
 1454 ، الجص 3 — 1032 ، جلق 4 — 1454 ،
 جنبلق 4 — 1454 ، الجوالق 4 — 1454 ، الجورب
 1 — 99 ، الجوسق 4 — 1454 ، الجوقة 4 — 1454 ،
 الجوهر 2 — 619 ، حران 2 — 627 ، الخوان
 5 — 2110 ، داود 1 — 468 ، الدهقان 5 — 2116 ،
 الراتود 1 — 473 ، الزمرد 2 — 565 ، الزنديق 4 —
 1489 ، السراويل 5 — 1729 ، السرجين او السرقين
 5 — 2135 .

السقرقع 3 — 1230 ، الشبارق 4 — 1500 ،
 الشبور 2 — 693 ، صنفوق 4 — 1507 ، الصنج
 1 — 325 ، صنجة الميزان 1 — 326 ، الصنم 5 —
 1969 ، انصهريج 1 — 326 ، طبرزد او طبرزل او
 طبرزن 2 — 266 ، الطسوج 1 — 327 ، الطحين
 والطاجن 6 — 2157 ، عزيز 2 — 744 ، قابوس 2 —
 957 ، القبان 6 — 2179 ، القريق 4 — 548 ، القز
 2 — 888 ، القفال 5 — 1803 ، القوانين 6 — 2185 ،
 الكامخ 1 — 430 ، الكزسرة 2 — 805 ، الكوس
 2 — 969 ، الكيلجة 1 — 337 ، المارستان 2 — 975 ،
 مارسرجس 2 — 820 ، الماش 3 — 1020 المردقوش
 3 — 1019 ، الناسور 2 — 837 ، النرجس 2 — 931

كما يقول ستانفس ان الكلمتين : سقرقع وناسور مشتركتان في الاصل بين العربية والفارسية اي انه
 لا يؤكد اكان اصلهما عربيا ام فارسيا ، مع ان صاحب لسان العرب يقول ج 8 ص 159 ان سقرقع
 حبشية الاصل ، ويؤكد ذلك صاحب المحيط ج 3 ص 40 غير ان الاب رفائيل اليسوعى يوافق على ان
 ناسور فارسية (انظر غرائب اللغة العربية ص 246) .
 ولا يؤكد ستانفس الاصل الفارسي الا بالنسبة لسبع وثلاثين كلمة من هذه القائمة وهي (مع صفحات
 المعجم الفارسي بازاء كل منها) : ابريسم 8 ، بخت 158 ، بغداد 192 ، بقم 194 ، البوصى 206 ،
 البيازرة 144 ، جريزا وقريز 1078 ، جرموق 361 ، 678 ، الجص 364 ، الجوالق 376 ، الجورب
 1101 ، الجوسق 378 ، الجوقة 377 ، الجوهر 379 ، الخوان 481 ، الدهقان 547 ،
 الزنديق 676 ، السرجين او السرقين 676 ، الشبور 783 ، الصنج 798 ، طبرزن او طبرزل 279 ، 808 ،
 قابوس 946 ، قبان 951 ، قريق 1021 ، 1042 ، القز 968 ، الكامخ 1009 ، كزيرة 1029 ، الكوس
 1061 ، الكيلجة 1070 ، المارستان 1139 ، الماش 1141 ، المردقوش 1212 ، نرجس 1395 ، هاون
 1486 ، هلhel (وهو السم) 1506 ، هميان 1512 ، اليارق 1525 .

وبعد ، فان الالفاظ المعربة في معجم الصحاح لا تساوى بالنسبة للثروة اللفظية الفصيحة في العربية نقطة في بحر ، وهي لا تعدو في معظمها أسماء لمسيبات حسية كالاطعمة والاشربة والالبسة والادوات وأسماء الاشخاص والاماكن ، ومع ذلك فكثير من هذه الالفاظ لم تعد مستعملة في هذه الايام ، الامر الذي يمكن معه اعتبار كثير من المعربات حلت ضيوفا على لفة الضاد ثم استأذنت ، وهذا الامر يجعلنى ادمو الى عدم التخوف من التعريب ، ذلك لان اللفظة التى تعربها لحاجة اليها في وقت من الاوقات ، او لمجرد وصولها الينا عبر وسائل المواصلات الحديثة بعد ان تكون اطلقت على مخترع او مستحدث وشاعت في بلدها ، هذه اللفظة تحل في كرم ضيافتنا وتتقبلها سماحة لفتنا ثم لا تلبث ان تعود من حيث انت حينما يلقى المخترع الذى رسم بها ، او يحل محله مخترع اكثر حداثة منه ، او تنزوى اللفظة بين اسطر المعجم لا يخرجها منه الا باحث أو عالم ، وتبقى العربية هي العربية ، وتبقى لفة الضاد خالدة بأصواتها وصرفها ونحوها وثورتها اللفظية ودلالاتها .

- 7- جواهر وحلى : الجواهر ، الزمرد ، الياقوت .
- 8 - ادوية : اهليلج ، ترياق ، هلل ، الوج .
- 9 - حيوانات : البخت (من الابل) ، اليسرق (الحمل) ، الجاموس ، الدلق (دويبة) ، الرمسق (تطيح الغنم) ، التبج (الحجل) ، الهملج (من البراذين) .
- 10 - شهور ومواقيت : حزيران ، شباط ، كانون .
- 11 - نباتات وزهور وفواكه : اجاص ، الجل (الورد) ، الجلستان ، الجوز ، الحندقوق ، الخلنج ، الكزبرة ، الماش ، المح ، نرجس .
- 12 - اطعمة : النهطة (أرز وماء) الجردقة (الرغيف) ، الكامخ (الذى يؤتم به) ، الكمك .
- 13 - اشربة : الأسفط ، البن ، الزرجون ، السفرقع .
- 14 - كلمات عامة : اقاتيم ، البوس ، ترهات ، جلنبلق (صوت طرق الباب) ، جهنم ، جوقة ، درهم ، دكان ، صنم ، قوانين ، قيروان (قافلة) ، مهندس ، الخ



المصادر والمراجع :

- 1 - معجم الصحاح للجوهري اسماعيل بن حماد
مطابع دار الكتاب العربي بتحقيق عبد الفغفور عطار 1377 هـ .
- 2 - لسان العرب لابن منظور جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم
دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر 1374 هـ 1955 م .
- 3 - القاموس المحيط للفروزي ابادي مجد الدين ابي طاهر محمد بن يعقوب
طبعة بولاق 1272 هـ .
- 4 - معجم ديوان الادب للفارابي ابي ابراهيم اسحق بن ابراهيم
تحقيق الدكتور احمد مختار عمر - مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1974 م .
- 5 - المعجم الفارسي الانجليزي (طبعة مصورة - مكتبة لبنان - بيروت 1970 م)
Persian English Dictionary by: F. Steingass,
University of Munich.
- 6 - المعرب من الكلام الاعجمي للجواليقي ابي منصور موهوب بن احمد
تقديم وتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام - مطبعة دار الكتب 1969 .
- 7 - غرائب اللغة العربية للاب رفائيل نخلة اليسوعي
المطبعة الكاثوليكية - ط 2 بيروت
- 8 - نشوء اللغة العربية للاب انستاس ماري الكرملسي
المطبعة المصرية بالفجالة 1938 .
- 9 - المزهري في علوم اللغة وانواعها للسيوطي جلال الدين ابي الفضل عبد الرحمن
شرح وضبط محمد احمد جاد المولى وزملائه - ط 4
دار احياء الكتب العربية بالقاهرة 1958 .
- 10 - في علم اللغة العام للدكتور عبد الصور شاهين
مكتبة دار العلوم - شارع المتبتيان - القاهرة 1974 .
- 11 - الحيوان للجاحظ ابي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، تحقيق عبد السلام هارون
مطبعة الطبلي 1357 هـ .
- 12 - مجلة كلية الآداب (القاهرة) ج 1 عدد 13 لعام 1951 ص 62 (تحقيق بعض الكلمات الهندية الممرية
للدكتور محمد يوسف) .
- 13 - رسالة دكتوراه (الازهري في كتابه تهذيب اللغة) لرشيد العبيدي بمكتبة جامعة القاهرة .

تَقْرِيبُ كَلِمَاتٍ مُتَدَاوِلَةٍ وَكَلِمَةٍ غَرِيبَةٍ وَاحِدَةٍ لِفُؤُلْكَالُورِ

الأستاذ: محمد شيت صالح (الحيائوي)

أسفلت : — زفت — ومنه تزفيت الشارع ولادرى
أى الكلمتين هو الاصل فكلاهما مستعملتان بمعنى
القرار أو القبر .

ماكنة : — وزنها عربى (فاعلة) متداولة تجمع
على ماكنات لا مكائن كما هو شائع .

تلفزيون : — بوزن آفريون (زهر أصفر) وقد
سماها البعض تلفازا وأخذ منه تلفز تلفزة . ولا أدرى
لماذا تذكرت — مرناة — بكسر الميم — وهى من البصر
رنا يرنو الذى يشترك فى معناه السمع والبصر والجمال
وغيرها من الصفات الأخرى التى تتعلق بهذه الآلة ؟
نهل نطلقها على التلفزيون أيضا بعلامة أم على الملون منه
بخاصة ؟ !

فلورسنت : — فلرس أو فلرست مثل فهرس
وفهرست بحذف أحرف الزيادة ومنها فلرس داره ،،، الخ
تلفون — هاتف : — يستبدل بالثانية مهتمة بكسر
الميم لان الهاتف وزن ومعنى الفاعل فى حين نعى الآلة ،
فالأصح مهتمة بوزن قياسى اخترناه من ثلاثة .

برينى بد : — مُقَمَّرَات — بضم فسكون فكسر ،
للحيوانات قصيرة الأرجل ، ففى المعجم أقصرت المرأة
ولدت قصراً .

الحديث عن التعريف جديد دوما لا يبل ولا يصدأ ،
ليس له موسم خاص ولا وقت محدد لاننا كنا ولا تزال
وسنبقى فى حاجة اليه لانه من أهم القضايا اللغوية
ان لم يكن أهمها فلنضمه نصب عيوننا ولنشتغل فيه
بحثا ودراسة ومعالجة حتى تلحق العربية بل تبذ غيرها
من اللغات لا فى الميدان الأدبى فحسب بل فى الميدان
العلمى وغيره من الميادين الحيوية والحضارية ، لان
لها من الإمكانيات والتأثيرات والمرونة والذخائر
والإتساع والغنى والعمق والشمول ما يؤهلها لأن تتبوا
الصدارة وما يشجع العالمن والمختصين للسير بها
والارتفاع بمستواها حتى نهية المطف ويلوغ الهدف
سيرا لايتوقف مواكبا سنة التطور وسلم التكامل وتقدم
الحضارة .

من أجل ذلك غذنت السير — قدر الامكان —
للمساهمة فى هذا الميدان ، وهاتذا اكتب بعض ما مر
علي أو خطر ببالي من كلمات اجنبية أو منحرفة أراها
كثيرة التداول فى صحفنا واذاعاتنا وغيرها من وسائل
النشر والاعلام مجتهدا ان أضغ بدلها كلمات عربية
مضبوطة تقوم مقامها علها تحظى بالرضا والقبول من
أرباب العلاقة واللغة والاختصاص وذلك كما ياتى :

وعلى ذلك نقول : كاتم الجمعية وكاتمية الجمعية بدلا من
سكرتارية . وعلى ذكر الكاتم فلنسم المدرس كاتم الصوت
مكتابا - بكسر الميم !

رجل دين او عالم ديني : - رَبَّانِي - بفتح الاول
وتضعيف الثاني والجمع رَبَّانِيُونَ . فالكلمة اسهل من
الكلمتين لفظا وادق منهما معنى وان كان هذا لا يحول
دون استعمال التعبيرين السالفين فلكل موقعه .

طيارة ، طائرة : - كلمة مشتركة تسبب الالتباس
هي وجمعها فتارة تطلق على الآلة وتارة على قائدها فما
العمل ؟ هل نخصص - الطائرات - للالات كما نخصص
- الطوائر - للنساء ؟ فالافتراح هذا حتى ان قبل فلن
يجل غير مشكلة الجمع وتبقى مشكلة المفردة . فحلا
للشكلة من جانبيها لم اجد اولى من وضع كلمة -
طيرية - بياء النسب لن تقود الطائرة وجمعها
طيريات وبذلك تنجو من الالتباس .

الطبقة العاملة : - الطبقة العمالية - ففي النسب
الى الجمع هنا معنى خاص يتميز بالوضوح والدقة .
ارباب العمل : معلميون - وصاحب العمل معلمي .
معمل نسيج - منسج - بفتح الميم جمعه مناسب .
محطة تعبئة البنزين ، بانزين خانة : - مَنُظَطة
بفتح الميم جمعها مناط ومنظطات .

كوزنيش : - مَشْطَأ - بفتح فسكون جمعه
مَشْطِطِيء ، وهو يختلف عن الشاطيء لان الاول اسم
مكان مصنوع اى شارع محدد مبلط ومنظم يحاذى النهر
او البحر اى هو جزء من الشاطيء الطبيعي لاكمه .

واخيرا بقيت كلمتان متداولتان رغبت ان لا ينتهي
البحث دونهما اعنى - المؤسسة - و - المنشأة -
بضم الميمين وفتح السين والشين . فباعتبارهما
مصطلحين جديدين تكون التسمية مقبولة لا غبار عليها
ولكن اذا نظرنا اليهما من حيث المعنى فان المبتاسي
الرسمية وغيرها في الحقيقة مما يشملها التأسيس او
الانشاء لانه تعبير عام فحيدا لو استبدلناهما - بالرجعية
- و - المصدرية - وذلك بان نجعل الاولى للدائيرة
او المصلحة التي يؤمها المراجعون كثيرا كما نجعل الثانية
التي لا يتردد عليها المواطنين اولا ياتونها الا لماما .

جينوسايد (1) : - المحق الكلى ، الابداء العامة ،
التقتيل ، والاخيرة كلمة واحدة تجمع على تقاتيل اذا
اردنا مضاعفة كثرة القتل .

أرشيف : - مَشْجَل - بفتح فسكون ففتح جمعه
مساجل ومنها أَرْشَفَةٌ مَسْجَلَةٌ تكتيك : وسائلية :

ستراتيجية : - خِطَاطِيَّة ، بكسر الخاء

ميليشيا : - حذفت احرف الزيادة وكانها عربية
ورجعت الى مادة - ملش - في المعجم فاذا هي : ملش
الشيء ملشا فمتشه بيده كانه يطلب فيه شيئا !

افلا نستطيع تخريج هذا المعنى لحمله على
الانسجام مع معنى ميليشيا ثم نقول مَلْشِيَّة مَلْشِيَّات
بالياء المضعفة ؟ فان لم يقبل هذا التعريب فعندنا الرديفية
او المتسلحة .

ايدولوجية : - كان في الامكان ترجمتها
بكلمة فكرة - مذهب - لو لم يكن معنى فكرة عاما ونحن
نريده خاصا فما السبيل ؟ لو رجعنا الى المعجم لوجدنا
فكرة ووجدنا فكرى - بالالف المقصورة - ايضا .
معناها وجمعها واحد فكر بكسر ففتح والاولى متداولة
والثانية مهملة ، فما بالنا لا نفرزها وجمعها فنجعل
فكرة فكر للعام وفكرى فكريات للخاص - المذهب -
باحياء لفظة متروكة سداً للحاجة ؟ !

لوبى : - معناها رواق ، ردهة او دهليز . وقد
استعملت مجازا لتدل على الوصوليين ذوى النفوذ . افلا
يجوز ان نستعمل مقابلها لفظا عربيا مشابها هو
- لوب - لنخرج معناه حتى يطابق المعنى الاجنبى
او يلتقى معه ؟ . وهكذا نكون قد وضعنا اصطلاحا
مترجما ومعربا في آن واحد كما فعلنا في ميليشيا .

سكرتير : - شاعت هذه الكلمة كثيرا في حين
عندنا ما يقابلها ويعوض عنها كلمتا مؤتمن وناموس فقد
استعملنا ثم تركنا ربما لثقلها لفظا ، فان لم تقيا بالفرض
فهناك تعبير كاتم السر - الذى استعمل هو الآخر ثم
نترك ربما لانه مكون من كلمتين . اقول ليس بضرورة
التمسك بالكلمة الثانية بل يجوز حذفها دون ان يؤثر على
المقصود من المعنى . لان الكتمان يختص عادة بالابرار

(1) الكلمات المارة وجدناها مجردة غير معربة الا الاخيرتين حيث خالفنا فيها هنا كاتبها الاستاذ محيي
الدين اسماعيل في صحيفة الثورة البغدادية العدد 2944 في 2 - 3 - 1978 .

الشعبي - المتداول الذي جرى استعماله وصار
مألوفاً وما أدراك من أوجده ومتى بدأ استعماله ؟؟
وثانيهما - ثقافة العوام - المهمل : نقله الكاتب عن
الاستاذ محمود العبطة عن مجلة الثقافة البصرية
1948 عن كاتب بغدادى مجهول .

فأى منهما يطابق معناه ترجمة فولك لور مطابقة
تامة ؟ الواضح من شرح الكاتب - معنى فولك - لور
- أن معناهما معا هو - الثقافة الشعبية - وبناء
على هذا ففى كل من التعبيرين المار ذكرهما انحراف
وتجاوز فى الترجمة ولكنه مفيد كما سنرى .

فالمداول استعمال التراث بدلا من الثقافة
والمهمل استعمال العوام بدلا من الشعب أى أن كلا
منهما كان مصيبا فى كلمة مخطئا فى أخرى فكيف السبيل
إذا وهل لا مناص لنا من تعبير - الثقافة الشعبية -
يا ترى ؟

لنتساهل أنيا فى كونه مركبا من كلمتين ومترجما
حرفيا عن لفة أوربية فهل يفى بالمرام ويعبر عما نفهمه
نحن لا غيرنا من علم المأثورات الموروثة ؟

الجواب كلا ثم كلا : لان الثقافة الشعبية شىء
آخر يختلف عما نقصده فليس علمنا هو الثقافة أو

فى العدد السابع من السنة الثامنة - 1977 -
نشرت مجلتنا العابرة - التراث الشعبى - مقالا
للاستاذ الفاضل عبد الحق فاضل بعنوان - تعريب
اسم الفولكلور - دعت فى تقديمه المتمكنين الى ابداء
آرائهم بخصوص كلمة فولكلور .

فنزولا عند رغبتها واسهاما فى خدمتها سألنى
دلوى فى الدلاء واشترك مع الباحثين - متعاونين
عسانا أن نحظى بما هو مطلوب ومأمول .

فالمقال يضم فيها يضم أربعة تعابير كل واحد
منها يقابل معنى فولك لور الأوربية وهى : التراث
الشعبى ، ثقافة العوام ، الخلفيات ، والفلقيات ،
فلندرسها لنرى أيها الاقرب والاصح الى معنى فولك
لور وهل فيها تعبير كامل مطابق للمعنى مطابقة تامة
أو زائدة للدلالة على ما يحتويه ذلك العلم الشامل
والموسوعة العظيمة من أبحاث ودراسات طويلة
عريضة فى موضوع المأثورات الموروثة من المعارف
الزاهرة التى انتقلت الينا جيلا بعد جيل باقيا بعضها
متصلا وضائعا وبعضها الآخر منقطعا .

لقد بدا لى أن المقارنة بين التعبيرين الثنائيين هى
التى ستهدينا الى سواء السبيل . فأولهما - التراث

ثم خصص في الاوريبات بمعنى المخلوقات البشرية وهو
مثل - الخلق - أيضا كان يعنى المخلوقات بعامه ثم
تخصص بالبشر .

اننا لا نعارضه لان كلمة - فلق - مستغربة فكل
جديد هو مستغرب عند ظهوره حتى اذا مر عليه زمن
ولاكنه الالسنه وخطته الاتلام صار ترديده مألوفنا
واستعماله مأنوسا . ولكننا لا نوافقه فيما ذهب اليه ،
فلا ندري هل الاوريبه اخذت من العربية ام على العكس ؟
ومن يستطيع أن يجزم اذا تشابهت بعض الاحرف في
كلمتين واحده في سيبيره مثلا والاخرى في حضرموت
مؤكدنا ان اصلهما واحد وذلك بتقليب اللفظ والتلاعب فيه
ثم تقليب المعانى وتحويرها واصطيادها وتخرجها
وتعليق بعضها ببعض حتى تتلام مع تصوره وما
افترضه مقدما من وحدة الكلمتين .

فلو سلمنا جدلا بأن ما قاله صحيح وان الاوريبه
هى العربية محرفة وان بضاعتنا ردت اليها افليس في
كل هذا تقليد ومحاكاة للغير الامر الذى يدل على افتقارنا
وحاجتنا ان لم يكن للكلمة ومعناها فالى الاصطلاح
الغريبى الذى سارت عليه . اى نكون قد نقلنا شيئا غريبا
ثم وسماه بكلمة من عندنا لم يخطر على بالها يوما ان
تتقمص روحا جديدا على مذهب التناسخ ؟ فان تجاوزنا
هذا ايضا فماذا نفعل بالمعنى المعجمية ؟ هل نختار
واحدا فنحسب ثم نخصمه اى نقيده ونجعله مصطلحا
تقليدا ونقلا عن الغير تاركين او ملغين المعانى الاخرى
وذلك بحذفها ومحوها من القاموس ؟

ان الفلق معجميا ليس له معنى واحد فنحسب هو
المخلوقات كافة ثم خصص بالبشر مثل كلمة - خلق -
ايضا بل له معان اخرى كثيرة هى : الصبح . بيان الحق
بعد اشكال . المطمئن من الارض بين ريوتين . جهنم ،
الشق فى الجبل ، مايبقى فى اللبن فى اسفل القدرح ،
يقال فى التحقير (يا ابن شارب الفلق) . عود يربط جبل
من احد طرفيه الى الآخر وتجعل رجلا المجرم داخل ذلك
الجبل وتشدان فيضرب عليهما . والفلق من اللبن المتقطع
حوضه . فاذا نسبنا الى الكلمة وقتنا - الفلقى - فالى
المعنى هو المنسوب اليه فاين هذا من قول الكاتب -
وكما ينبى فى المصطلح توخى اللفظة الواحدة ينبى
توخى اللفظة ذات المعنى الواحد تفاديا من كل التباس

التثقيب بل هو التراث المؤدى الى الثقافة والى غيرها
من الاغراض كما انه - اى العلم - لا يتناول الشعب
جميعه او الامة كلها بل يبحث ويعالج نوعا وصنفا
منهما اى ما يتعلق بالعوام من الناس فحسب . فلو
كان للشعب او الامة لما اختص بجزء او فريق منهما
ولا كان ثمة حاجة لفرز العوام عن الخواص بل كان
علما يبحث ما خلفه الشعب او الامة وما ورثه واورثه
من مآثر معنوية منقولة عرفا او تقليدا او تلقينا
وماثر مادية خرساء كالاطلال والصخور والاطيان والعظام
وناطقة كالمخطوطات والمطبوعات والنقوش والرسوم
سواء كتبت باللغات الفصيحة او باللغات العامية .
فاين هذا من ذلك .

لنعد اذا الى ما سبق ذكره فنجد ان التعبير المتداول
قد خطا خطوة واحدة نحو الهدف المنشود كما نجد
التعبير المهمل قد خطا هو الآخر خطوة واحدة ايضا
فما بالنا لا نخطو الخطوتين مما فنجمعهما فى تعبير
مشترك ونقول - تراث العوام - او التراث العامى -
وهو تعبير ملائم وموافق لانه ينطبق على ما شرحناه آنفا
انطباقا يكاد يكون تاما لولا انه مكون من كلمتين :

فهل حللنا المشكلة او جزء منها وما العمل وهل
عجزنا عن اكتشاف كلمة واحدة ام ان لغتنا كانت قاصرة
فى هذا الميدان فلم تستطع اسماعنا وقضاء حاجتنا ؟

بالحسن الحظ ، ما اروع الكلمة او الصدفة التى
عثرنا عليها فقد انقذتنا ومحت حيرتنا ومنحتنا ما نريد .

انها كلمة - عمم - بفتحتين وزن - شمم وقلم -
وهى اسم جمع للعامه ، تتوانر فيها جميع الشروط التى
وضعها الكاتب بصورة مطلقة لازيادة فيها ولانقصان .

وها نحن نقارن بين ما توصلنا اليه وما جاء فى
المقال من اجزاء ونقاط مناقشين ومفاضلين تؤيد ما نراه
مستقيما وننقد ما نراه منحرفا ، فالكاتب يقترح استخدام
كلمة (فلق) العربية وان كانت مستغربة عنده مقابل
- فوَلَك - الاوريبه لسببين :

اولا : لان الثانية اخذت من الاولى اصلا بتليل
تقاربهما باللفظ والمعنى .

ثانيا : (لان الفلق معجميا : هو الخلق كله بعامه

فلنتجاوز هذا أيضا فهل يتفق ذلك مع شرحنا -
للتراث الشعبي - فنحن هناك لم نقبل كلمة شعبي لان
معناها اوسع مما نقصد ونفهم فكيف نقبل كلمة فلقى
بمعنى بشرى لا بمعنى كوني وهي اشمل اتساعا ، فبناء
على ذلك كله اعتقد ان مقترح اخينا بعيد عن اصابة
الهدف ولا محل له من الاعراب .

وما بيناه عن - الفلق - يصدق بفظه ايضا
على - الخلق - الذي استعملته تركية (لا تركيا) بقى
قول الكاتب (لم يستطيعوا النسبة الى التراث الشعبي
فنسبوا مركزه الى الفلكلور باعتباره كلمة واحدة يوم
دعوه دعوه المركز الفلكلورى وهنا يظهر تصور مصطلح
- التراث الشعبي - لانه من كلمتين ولو انه صحيح من
حيث المعنى كذلك لايمكن اضافة - التراث الشعبي -
الى العراق مثلا فيضطرون الى استعمال الكلمة
الفرنجية هنا ايضا في قولهم - فولكلور العراق -
فلا يقال تراث شعبي العراق وهكذا اظلي على هذه
العبارة بعض الملحوظات :

اولا - فولكلور ليس كلمة واحدة بل كلمتين بدليل
شرح الكاتب نفسه في مكان آخر ولكن يمكننا ان نتساهل
ونتول - باعتباره لفظا واحدا .

ثانيا - مصطلح - التراث الشعبي - ليس
صحيحا من حيث المعنى والترجمة بل صحيحة - تراث
العوام - او التراث العامي كما مر ذكره .

ثالثا - لايمكن اضافة - التراث الشعبي -
الى العراق على شكل - تراث شعبي العراق - كما
تفضل الكاتب ولكن يمكن اضافته على شكل آخر هو
- تراث العراق الشعبي - وبالاحرى العامي .

وخلاصة ما قدمته ان الكلمة الواحدة المطلوبة
والمأمولة التي دار البحث والنقاش للتفتيش عنها
واحضارها هي كلمة - عمم - فهي تفي بالمراد وسيلة
وغاية . وهذا لايعنى ان نترك المرادف الثنائي - تراث
العوام - او التراث العامي لان سعة التعبير من
خصائص العربية فقد نستحسن احد المقترحين في
موضع ولا نستحسنه في موضع آخر فللكل مقام مقال .

وتطبيقا لما سبق فهل نستطيع ان نسمى مجلتنا:

- العمميات - او - التراث العممي - او تراث
العوام - او التراث العامي - بدلا من التراث الشعبي
- وهل نقول - المركز العممي - او - مركز العمميات
- او مركز تراث العوام بدلا من المركز الفلكلورى .
والذي ليس للفظه ولا لمعناه علاقة بعربيتنا واصطلاحنا
كما رأينا وهل نقول - العمميات - او - علم تراث
العوام - او - العمميون - بدلا من علم التراث الشعبي
والمهتمين به . سنرى .

فما غايتنا سوى الوصول الى الامثل بجهود اي
من الباحثين المشكورين والمستحقين الثناء وأجر الاجتهاد
على كل حال .





أضواء على صيغة "فعلون" في العربية

الأستاذ: هارون أحمد العفاس

يتأثر باللغة الإسبانية إذ أن هذا الاسم من الجزيرة العربية ومن جنوبها بوجه خاص فإن (خالدا) المعروف بخلدون وابن عثمان الحضرمي قدم من حضرموت إلى الأندلس أبان الفتح العربي .

ولا لحب أن أطيل في إيراد المصادر وحسبى أن أذكر أن نسبة الأندلس العلامة ابن حزم تناول نسب بنى - خلدون الأثيبيليين ورفع نسبهم إلى خالد بن عثمان فقال (خالد المعروف بخلدون الداخل من المشرق ابن عثمان ابن هاني بن الخطاب بن كريب بن معد يكر بن الحارث ابن وائل بن حجر - . الخ (1) .

وفي نفس الصفحة - قبل ماسبق - نسب وائل ابن حجر إلى زيد بن الحضرمي .

كما أن ابن خلدون في ترجمته الذاتية نقل نسب بنى خلدون عن ابن حزم كما سبق ثم قال (ولما دخل خلدون بن عثمان جدنا إلى الأندلس نزل (بقرمونة) في رهط من تومه حضرموت .)-(2)

ويحسن أن نشير إلى أن وائل ابن حجر وفد على الرسول الكريم وله صحبه وقيل قدومه قال صلى

أطلعت على المقال القيم الذي كتبه الأستاذ محمد بن تاويت بعنوان (صيغة فعلون في العربية) في مجلة النسان العربي الغراء المجلد (12) الجزء الأول ص (63) وقد أعجبت بعرضه المتم واستقرائه الواسع لكثير من أسماء الاعلام التي على صيغة (فعلون) منذ القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجرى . ولعله من المفيد أن أقدم بعض الملاحظات فقد جاء في ص (63) من المجلة ما يلي :

(كنت قد سمعت من أستاذنا مصطفى السقاء رحمه الله وأنا أدرس عليه بكلية الآداب في جامعة مؤاد . أن خلدون ومثله مما ولد في الأندلس العربي على خلقة اقليلية متأثرة بمحيطها الخاص) .

ثم ذكر في نفس الصفحة أن الأستاذ عبد الله بن كنون قدم إلى مؤتمر المجمع في دورته الحادية والثلاثين بحثا له في اسم (خلدون) وهل هو مكبر على الطريقة الإسبانية ؟ فأحيل إلى لجنة الأصول .

ومع تقديري البالغ لآراء الأستاذ السقاء رحمه الله إلا أنى أرى أن اسم (خلدون) ليس مما ولد في الأندلس ولم يك مكبرا على الطريقة الإسبانية بل لم

(1) جمهرة أنساب العرب ص (460) تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، بتصرف .
(2) التعريف بابن خلدون . ملحق بالجزء 380/7 ط . بولاق القاهرة .

والله عليه وسلم ، ، يأتيكم وائل ابن حجر من أرض بعيدة من حضرموت طائعا راغبا في الله عز وجل وفي رسوله . واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على الاقبال من أرض حضرموت ، ، وفيما بعد شهد وائل ابن حجر (صفيين) مع الامام على كرم الله وجهه وكان على رائية حضرموت . (1) واسماء الاعلام التي على صيغة (نعلون) شائعة في اليمن وحضرموت قبل الاسلام وبعد ظهوره والى وقتنا هذا . اذكر على سبيل المثال اسماء مدن وقرى في حضرموت لاتزال بعضها عامرة مثل سيئون ، تيدون ، نفحون ، حيدون ، سمعون ، حلبون ، ورييون . واسماء لاودية مثل عقرون وعييون اما اسماء الاشخاص من الجنسين فاكثر شيوعا مثل عبدون ، حمدون ، عزون ، عيشون ، زينون ، فضلون ،

وبركون ومما يؤيد قدم الاسماء التي على صيغة (نعلون) واصالتها العربية ان بعضها ذكر في نصوص المسند فمثلا (سيئون) و (دمون) وغيرهما . فقد جاء في النص (32 الكهالي) الذبح سجله تالب بن جدنم (جدن) كبير اعراب الملك (نمار على يهب) ملك سبا وذو ريدان وحضرموت ويمنت سجلت فيه كلمتي سيئون ودمون (2) كما ورد اسم (دمون) في الشعر الجاهلي ، قال امرؤ القيس :

تطاول الليل علينا ديمون
دمون انا معشر يمانون . (3)

وقال : كاتى لم اسمر بدمون ليلة
ولم اشهد الغارات يوما بعندل . (4)

(1) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين ابن الاثير ج 81/5 ط ، طهران
(2) في تاريخ اليمن للاستاذ مظهر على الارياتسي ض 4 ف 1 - 115 .
(3) ديوان امرؤ القيس تحقيق ابي الفضل محمد ابراهيم ص 34 طبع دار المعارف ، القاهرة
(4) المصدر السابق 473 .

رأي في بعض المصطلحات الواردة في معجم مصطلحات الجغرافيا والفلك في التعليم العام

الاستاذ عبد الحميد الوسلاقي

التفريب الذي يرمى لغتنا بالعجز وفوضى
المصطلحات »

1 - لقد ورد في الصفحة - 10 - من المعجم
تعريب كلمة « Coefficient » بمعامل بينما الذي
شاع استعماله خاصة في سوريا وتونس هو الضارب
والذي يجمع على ضوارب وهي اخف في الاستعمال
من معامل .

2 - ورد في الصفحة - 11 - من المعجم تعريب
« Courbes de Niveau » بخطوط الارتفاعات
المتساوية والذي شاع استعماله في سوريا وهي البلد
العربي الذي عرب جميع فروع العلم من الابتدائي
الى العالي منحنيات التسوية وهو اصطلاح ادق واخف
من خطوط الارتفاعات المتساوية .

3 - ورد في الصفحة 19 - من المعجم تعريب
كلمة « Artisanat » بصناعة حرفية وفي صفحة -
43 - من نفس المعجم تعريبها أيضاً بصناعة تقليدية
واعتقد أن التعريب الأخير أكثر دقة .

4 - ورد في الصفحة - 23 - من المعجم تعريب
كلمتي « Aiguille aimantée » بابرة ممغنطة
بينما المستعمل والصحيح هو ابرة ممغنطة .

بعث الينا الاستاذ عبد الحميد الوسلاقي
بالملاحظات الآتية حول مصطلحات الجغرافية والفلك
في التعليم العام وهو من معاجم المؤتمر الثالث للتعريب:

يقول فيها « . . . » بأنني توصلت عن طريق وزارة
التربية القومية بتونس بمصطلحات الجغرافية والفلك
في التعليم العام واني أشكركم جزيل الشكر على
المجهودات الجبارة التي بذلتوها ائتم ورفاتكم في
المكتب من أجل الرفع من مستوى لغتنا العربية
وجعلها مواكبة لتطور العصر كما ساهتمت بملكم
هذا في انقاذ شبابنا العربي من فوضى المصطلحات
التي كانت تختلف من قطر لآخر وحتى من استاذ لآخر
في نفس الكلية وقد عانيت الكثير من هذا الوضع
بصفتي خريج كلية العلوم بجامعة دمشق .

واني اعتقد جازم الاعتقاد أن هذا العمل الذي
تقومون به في نطاق الجامعة العربية سيكون له دور
فعال في توحيد لغة العلوم عند شباب أمتنا العربية
ويجعله يتكلم نفس اللغة العلمية من الابتدائي الى
الثانوي فالعالي وهذا ان وجد الاعتناء والتطبيق من
طرف وزارات التربية القومية في الوطن العربي وهذا
يعد عملاً جباراً للمساهمة الفعالة في نهضة لغتنا
العربية وجعلها تساهم بدورها الايجابي في النهوض
والمساهمة في تطور مسيرة العلم ، وايقاف تيار

5 - ورد في صفحة - 29 - تعريب كلمة « étang » بغير بينا المستعمل هو مستنقع أو بركة .

6 - ورد في الصفحة - 31 - من المعجم تعريب « Topographie Régionale » بمسح اقليمي .
بينما نجد في الصفحة - 37 - من نفس المعجم تعريب « Carte Topographique » بخريطة طبوغرافية و « Topographie » بطبوغرافيا . لذا ارى الامضل استعمال طبوغرافيا في كل الحالات .

7 - ورد في الصفحة - 36 - تعريب « Betterave sucrière » بشوندر السكر أو بنجر بينا يستعمل هنا في تونس مصطلح اللفت السكري وهو مصطلح عربي صحيح .

8 - ورد في الصفحة - 54 - تعريب كلمة

« Poissons » بالحوت . وهذا خطأ فادح حيث ان كلمة « Poisson » تقابلها في العربية كلمة سمك التي تجع على اسماك وهي حيوانات تنفس الاكسجين الذائب في الماء بواسطة غلاصمها . بينما الحوت يقابلها في الفرنسية « les Cétacés » وهي حيوانات ثديية لها شكل الاسماك تعيش في البحر وتنفس الاكسجين من الهواء مباشرة بواسطة رئتيها وهذا مثل البال « Baleine » والحلقتين وحوت العنبر « Cachalot »

9 - ورد في الصفحة - 56 - تعريب كلمة « Vertical » بكلمة راسي بينما المستعمل في سوريا وتونس هو الشاقول فنقول خطأ شاقوليا ومستويا شاقوليا وهو آت من الشاقول وهو الخيط الذي يستعمله البناء والذي ينتهي بقطعة رصاص .



ملاحظات حول

دليل مصطلحات المواصفات القياسية العربية

الجزء الثاني

في هذا القسم بسبب تعريفها بال . ومن بين الامثلة
الكثيرة أيضا الأعمال التي رتب في القسم الخاص بحرف
(ي) والتي ادرجت فيه بسبب ابتدائها بياء المضارعة .
وهناك اغلاط اخرى متعددة تدل على عدم الدقة في
الترتيب .

(2) تكرار المصطلحات بعد ارقام مختلفة : والامثلة
كثيرة هنا أيضا نكتفي بالاشارة إلى بعضها . انظر
المادتين رقم 138 و 184 ، ثم 147 و 186 ، ثم 153
و 187 ، ثم 654 و 656 وما بينهما . وقد تختلف الترجمة
للمصطلح الواحد المكرر كما يلاحظ ذلك في الامثلة التالية:
83 و 175 . ثم 733 و 789 ثم 803 و 606 و 1011 .

(3) اغلاط تتعلق بالمعاني وقواعد اللغة ، ومن
امثال ذلك استعمال كلمتي «دخل وخرج» بدلا من دخول
وخرج في المادتين رقم 121 و 122 واستعمال كلمة
«اعياء» بدلا من عياء في المادة 151 ، وترجمة كلمة
«Drainage» بكلمة « تصفية » عوضا عن صرف أو
تصريف(انظر رقم 244) . أجل قد يكون الصرف
(أو التصريف) وسيلة للتصفية فكان في هذه الحالة ينبغي
استعمال العبارة : « التصفية بالصرف » التي يقابلها
بالفرنسية :

« Purification (ou épuration) par drainage »

— مشروع أعدته المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس

سبق لمكتب تنسيق التعريب ان نشر في العدد
الرابع عشر من مجلة « اللسان العربي » الجزء الاول
من هذا الدليل القيم بعد اعادة النظر في بعض المواد
التي احتوى عليها وتصحيح ما ورد فيه من الاخطاء
المطبعية وغيرها .

وكان بودنا ان ننشر الجزء الثاني الذي ارسل
الينا لنفس الغرض الا ان خيراينا اللغويين بعد ان
راجعوه وامنوا النظر في مواده اكتشفوا اخطاء كثيرة
في اللغات الثلاث ولا سيما الفرنسية فارتأوا بعد تصحيح
ما استطاعوا تصحيحه ان يعاد هذا الجزء الى المنظمة
الموترة لكي يتم خيراؤها المتخصصون عمل المراجعة
والتصحيح لان عددا من المصطلحات والتعابير التقنية
لايستهان به كان موضوع شك او غموض من طرفهم
نوضعوا عليها نقطا استفهامية وفضلوا ان يعاد النظر
فيها من أجل الايضاح والتدقيق .

وفيما يلي بعض انواع الاخطاء التي وردت في
الجزء الثاني من الدليل مع الاشارة الى بعض الامثلة .

(1) اختلال الترتيب اللفبائي : مثلا الكلمات

الواردة في القسم الخاص بحرف (ا) حيث يوجد الكثير
من المصطلحات مبتدئة بغير هذا الحرف ولكنها ادرجت

(5) ترجمة افعال لازمة بانفعال بمتعدية - او
العكس - : انظر مثلا المواد 2895 و 2896 و 2922 .

(6) ترجمة الفعل بنعت او العكس وتوجد امثلة
من هذا النوع من الاخطاء في الصفحتين 153 و 154 .

وهناك ايضا اخطاء مطبعية عملنا ما استطعنا
على تصحيحها ورجاؤنا ان يتم التصحيح في المنظمة
الموثرة حتى يصدر هذا الجزء الثاني من الدليل على
الوجه الاكمل .

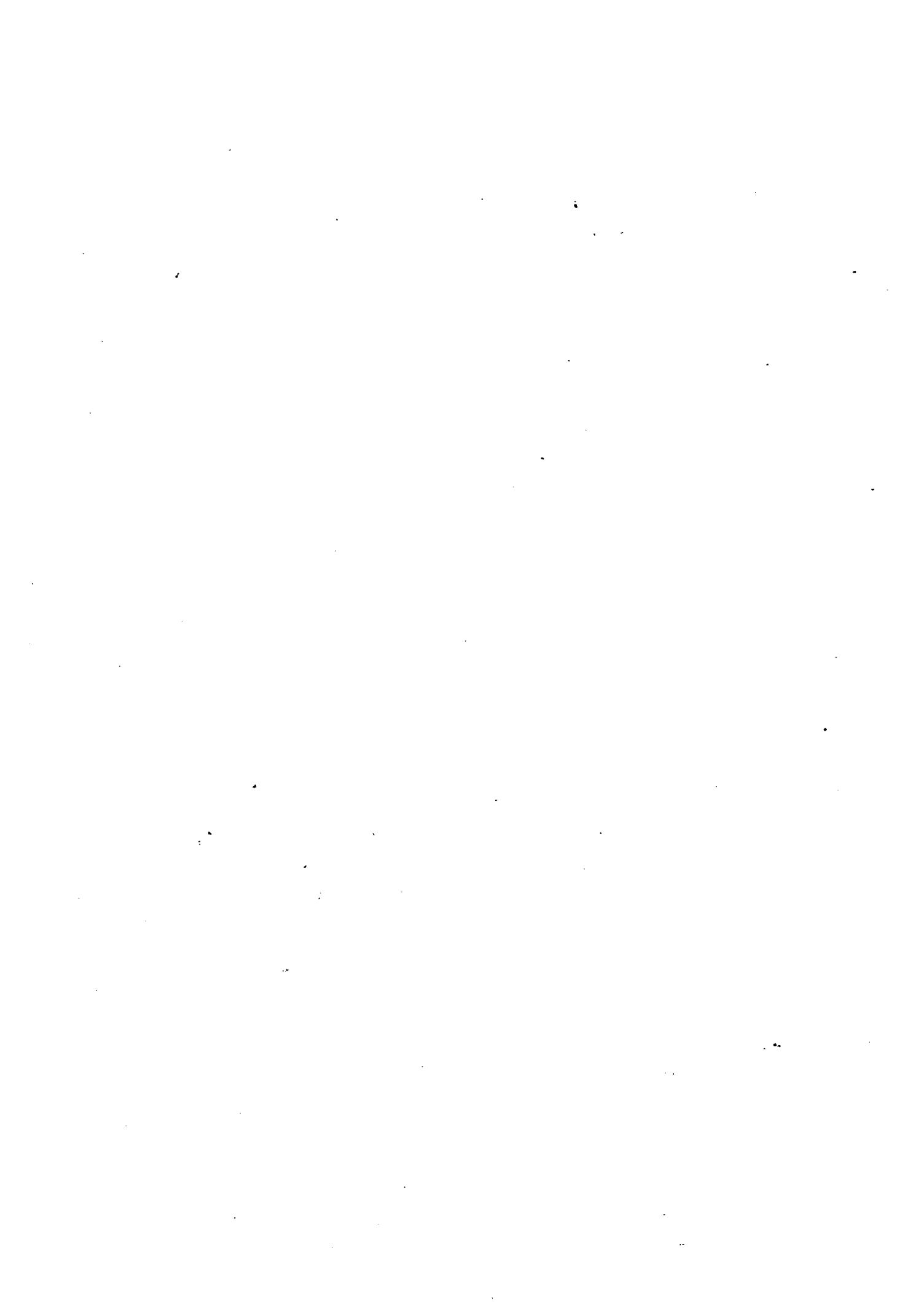
انظر ايضا التعليق الهامشي على المادتين
رقم 225 و 226 ، ومن الاخطاء الدالة على
عدم تطبيق بعض القواعد ايراد نعوت كثيرة منتهية بقاء
التأنيث (ة) الدالة على جمع غير العاتل في حين ان
مقابلها الاجنبى ياتى بصيغة المذكر المفرد (او العكس
بالعكس كما ورد في المادة رقم 2127 مثلا) . وقد وردت
كلمة « خالى » بدلا من خال وكلمة « محاكى » بدلا من
« محاك » و « واتى » بدلا من « واق » .

(4) اغلاط تتعلق برسم الكلمات ، وهى كثيرة جدا
في المصطلحات الفرنسية .



دراسات متنوعة

- | | | |
|-----|--|--|
| 185 | الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله | 1 - المشكل الديموغرافي والتطور الاقتصادي |
| 197 | الاستاذ : بس . بيت كوردر
ترجمة الاستاذ جمال عبد الفتاح صبرى | 2 - مدخل الى اللغويات التطبيقية (2) |
| 209 | د / رشاد محمد خليل | 3 - تكوين الفكر العربى قبل الاسلام (3) |
| 215 | الاستاذ محمد بن اسماعيل
ترجمة الاستاذ محمد الخطيبى | 4 - مستقبل اللغة العربية |



الحرية الواعية او المشكل الديموغرافي والتطور الإقتصادي

معطياته في الولايات المتحدة الراسمالية والمسيحية الشعبية الاشتراكية والعالم الثالث وخاصة المغرب كما سنوضح في عرض تاريخي مبسط كيف استطاع المغرب المستقل طوال الف عام ويفضل الاخلاقية الاسلامية الفاضلة تركيز واقرار مستواه الاجتماعي جاهلا ما عرف اليوم بمشكل السكان .

ففي الولايات المتحدة التي تعتبر احسن وارقى منطقة في العالم يتمخض «التجبر الديموغرافي» عن ارتفاع السكان من ستة وسبعين مليوناً (76) عام 1900 الى ما يقرب من مائتين وخمسة ملايين (205) عام 1970 فالمشكل الديموغرافي تتوأكب فيه عدة عوامل منها نسبة الولادات والوفيات ومعامل خصوبة الانسال والعنصر الاجتماعي والاقتصادي ويهدف التخطيط العالمي الى ضمان التوازن بين هذه المعطيات لخفض الوفيات وكذلك النقص من المواليد بتحديد النسل من طريق منع الحمل وهنا ينبغي ان نميز بين ما يسمى بالضبط او التنظيم الديموغرافي او تحديد المواليد من جهة وبين التخطيط العائلي الذي يعتبر مجرد وسيلة لحمية الاجومة والطفولة بالتنظي من نسبة وفيات الاطفال ارتكازا على تصميم وقتي مناسب وهكذا نلاحظ ان هذه العوامل تتفاعل كلها لخلق بوتقة من التأثير المتبادل قد ينتهي الى

ان المومن الصالح في الحضرة الاسلامية الفاضلة يتسم بميزتين اساسيتين تنفصل عنهما كل القومات الخلقية والاجتماعية الاخرى وهما روح التحرر والشعور بالمسؤولية فالمسلم حر يجب ان يظل حراً في نطاق حرية الغير كما ان له تبعات حضارية في البيت والمجتمع وازاء الانسانية يجب ان يضطلع بها فلينجب ما شاء له الاتجاب ولكن في حدود امكاناته التي تحوطها مقدرات المسؤولية والتي يجب تقييم ابعادها في نطاق ملايسات الامة وظروفها وبذلك امكن للاسلام الذي هو حقا الدين الصالح لكل عصر ومصر ان يواجه ما اعترض نسوه الطبيعي واشعاعه الحضاري في مختلف العصور .

ان نماء سكان العالم بعد العصر الصناعي قد بلغ ارقاما خيالية حيث ارتفع من مليار واحد ونصف مليار عام 1900 الى ثلاثة ملايين ونصف عام 1970 لهذا فان التقنيات التي تستهدف تنقيص الوفيات والتي تمزها في الولايات المتحدة واوريا تغييرات اجتماعية واقتصادية اساسية تحاول ان تحقق توازنا مع تقنيات موازية تعمل على خفض نسبة الجهل والامية والغلط في الاتسال للوصول الى نقص في نسبة الولادات لهذا فان الاستقرار الديموغرافي يجب ان يتبلور مبدئياً في تحقيق التوازن بين الولادات والوفيات ، وسنحاول - من اجل ابراز معالم هذا المشكل - التنظير والمقارنة بين

(1) محاضرة القايت باللغتين العربية والفرنسية باسم الوجود الاسلامية في المؤتمر الاسلامي المسيحي الذي انعقد بتونس عام 1976

نوع من التحييد لبعضها والغريب في هذا الصدد أن ارتفاع الوفيات يشجع أحيانا قوة الإنسال ويخلق لوازم اجتماعية واقتصادية معكوسة لهذا نجد أن معدل الانتجاب يجب أن يبلغ أوجه في أفريقيا الاستوائية لكفالة توازن ديموغرافي فالمسؤولون يعملون أذن على اقامة جهاز اجتماعي من شأنه أن يخفض نسبة الوفيات قبل القيام بنهج أية سياسة تستهدف تحديد النسل بنشر الوسائل المضادة للحمل ويستعمل الناس خطأ - في بعض الاحياء - عبارة «تفجر ديموغرافي» دون تمييز بين نسبة تزايد السكان في بلد ما وبين المساحة الصالحة في هذا البلد والوسائل الفعالة لضمان تطورها وقد أكد بعض علماء الاقتصاد البريطانيين أن عدد سكان كل «أكر» مزرع (أى نحو أربعة آلاف متر مربع) في الصين أقل منه في بريطانيا العظمى أو اليابان حيث تقدر في كل منها بسبعة وتسعة وثلاثة عشر.

ويدخل العامل الاقتصادى والاجتماعى أيضا في الحساب من أجل خلق محيط صالح وملابس ملائمة للتطور غير أن هذا العامل ليس هو كل شيء لأن مشكل التشغيل - لا القدرة التقنية على انتاج الطعام - يمثل النقطة الحرجة داخل تسعين الى مائة بلد تشتغل على سبعين في المائة من سكان العالم ذلك أن المفاعلات المتسلسلة للنماء الديموغرافى السريع ولنسبة البطالة وتناقص الشغل وانخفاض القوة الشرائية كسل ذلك كاف وحده لطبع ضرورة أى تطور أو اصلاح فى الوضع الاقتصادى والاجتماعى . وإذا حاولنا أن نضرب مثلا بالولايات المتحدة الأمريكية فانتا نلاحظ أن ارتفاع سكانها راجع خاصة الى عامل آخر هو الهجرة أى توارد أنواع من البشر قدر عددها بأربعين فى المائة خلال السنين العشر الأولى لهذا القرن وفى عام 1971 اجتازت الولايات المتحدة فترة عانت الامرين أثناءها بسبب تناقص نسبة الولادات؛ لهذا تختلف عوامل النمو بين بلد وآخر ، كما تختلف التحول التى تتناسب مع هذه المعطيات وقد صدق الكونغريس الأمريكى فى نفس السنة أى عام 1971 تحت هذا التأثير على قانون يحظر منع الحمل الامر الذى شكل عائقا أمام منهجية التنظيم العائلى ومع ذلك فإن الوضع القانونى الجديد لم يحل - بسبب عدم استعمال المشروع للمواد والاجهزة المحددة للنسل - دون لجوء عدد كبير من الناس الى عملية التعقيم الطبى لاسيما بعد

صدر قانون 1972 الذى ينص على «جواز الاجهاض بطلب خاص وعن طريق طبيب اخصائى» فهذا التشريع يقلل من الاخطار المحتملة الناتجة عن الاستقطاعات والاجهاضات غير المشروعة التى تتراوح كل سنة بين مائتى الف ومليون ومائتى الف فى أمريكا والهادفة لإعاقه كل حمل غير مرغوب فيه ، ولهذا تتجه السلطة التشريعية الأمريكية اليوم الى حصر الاضرار وجعل حد لعملية غير انسانية وهى الواد الاختيارى للحياة وذلك بتشجيع - على مراحل - لتقنية منع الحمل وللتخطيط العائلى وتبطلور هذه البادرة خاصة فى الاسبقية المخولة للدراسات الاحيائية فى ميدان الإنسال والانتجاب وللبحث عن أحسن الطرق التى تمكن الأفراد من «كبت مايتوفر لديهم من قدرة على الإخصاب» تلك أذن وسائل جديدة ترمى الى وضع خطوط تعليم جنسى ملائم ، فلنستشف الآن المرأة التى تنظر من خلالها الى هذا المشكل دولة اشتراكية موقلة فى مذهب «لينين» مثل الصين الشعبية حيث قدر عدد السكان عام 1968 بسبعمائة وثلاثة عشر مليوناً كما قدرت نسبة تزايد هؤلاء السكان باثنين فى المائة فقد نظم أول موسم دعائى لفكرة التخطيط العائلى منذ عام 1956 اذ وزعت على أوسع نطاق الوسائل الكفيلة بمنع الحمل مرفقة بنصائح بحسن استعمالها وهذه الخطة فى التلمس والتحصن مجردة عن كل خطر فى هذه المرحلة الأولية لأنها لا تتجاوز نطاقاً تثقيفياً تجريبياً فى ميدان منع الحمل غير أن الصين التى كانت اذ ذاك لا تزال فى صراع ضد الأمية كانت أيضاً تجتاز فترة مخاض نظراً لوجودها آنذاك فى طور الانتقال الى دولة اشتراكية قوية عصرية تعتمد على قواها الذاتية وعبقرية شعبها مما حدا الرئيس ماوتسى تونغ الى القول عام 1958 بأن كثرة السكان «شئ جميل غير قبيح» اذ بتصنيع البلاد وتقوية انتاجها الفلاحى تصبح قوة اليد العاملة قليلة وتتزايد الحاجة اليها باطراد لهذا فإن توفر عدد ضخم من السكان يتحرك فى دفاع تلقائى ويخوض معركة الشعب ضمن ترابه الذاتى من شأنه أن يمد الصين بقوة لا تقهر غير أن هذا الموقف «المحايد» لم يمنع بقاتا من وضع جهاز للتخطيط العائلى فى الصين فى نفس الوقت الذى شعرت الجماهير القروية بالطابع الطليق الحر لهذه السياسة فظلت حيرى فى ترقب وانتظار بينما انبرت الأطر القومية ورجال الفكر تجوب

انحاء البادية عام 1958 — تلبية لنداء ماؤ — داعية لفكرة ضبط وتحديد الولادات ، ولكن منذ عام 1963 انطلق التخطيط العائلي المنظم من عقاله — بايعاز من الرئيس ماو — تسانده مئات متحركة من الاطباء والمرضين معززة بلقاح يحقن في رحم النساء لمنعهن من الحمل وقد ارتأت الاشتراكية ان المهم هنا هو انعدام اى تهديد او ضغط اقتصادى على العائلة وهكذا تظل مبررات الاختيار الحر المرتكزة على امكانيات ووسائل كل عائلة — منبثقة من تحرر المرأة وحققها في الدراسة ووعيتها المتزايد واسهامها الفعال في اقامة أسرة مكيّنة. وفكرة التحرر هذه تشكل ضمن اى جهاز تخطيطى ، النابض الحى والسر الجوهري لكل نجاح فالشعب يتمكن في هذه الحالة من ان يكون لنفسه — بكامل الحرية — صورة متبصرة لمصلحته ذلك ان المصلحة العامة الحقيقية للامة هي في كل مجتمع اشتراكيا كان او غير اشتراكى لمدار او المحور الذى يضبط كل تجديد في البنية والهيكل وان الاسلام في بساطته ومرونته وقابليته للتطور حسب مقتضيات الانسانية المتجددة وطبقا للوازم المنطق والمعتل لهو المذهب الذى ينطوى على روح تحريرية أَوْفَى واعمق اذ ان نظرتة الاصيلة وما يترتب عنها من اختيارات منوطة باستكناهة الانسانى الواعى للبواعت الواقعية التى تبرر قيام اى جهاز ثقافى وفكرى واجتماعى واقتصادى فهناك مبدا اسلامى يرى ان من جملة معايير التقدير في التشريع مانعله الرسول عليه السلام من «تحكيم العادة» وما نهجه الامام مالك بناء على ذلك لقياس الجواز في مذهبه وهو مبدا «المصالح المرسله» مما شجع امواج البشر الى الدخول في الاسلام بكثره وخاصة في القارة الامريقية المعروفة بتعلقها بالتقاليد الموروثة فالايديولوجية الاشتراكية في اطارها الماركسي وكذلك التصور الاسلامى للمصالح الاجتماعى الحق — كلاهما يستلزم نكران الذات والايثار وتمالك النفس وضبط العواطف والنزعات والفرائض وهى كلها مقومات معنوية لتمييز كل تخطيط ييدو صلاحه ولو ادى الى اعانة الحمل وتحديد النسل ، وقد اوعزت الصين الشعبية الى الشبان بالعمل على تاخير سن الزواج

اى ميقات الانتجاب الى خمس وعشرين سنة او اكثر كما بنى الرسول عليه السلام بخديجة زوجته الاولى وهو لم يتجاوز هذا العمر ذلك ان الديناميكية الاسلامية التى تواكب الاشتراكية الصينية معها هاهنا تهدف الى دفع فريض طاقاتها وطفحها في الحياة النشطة التى يدعو اليها الاسلام ، كما يجد الشاب الصينى ملهى في الرياضة البدنية وفيما يشعر به من لذة في بادرات التجديد والعمل المنتج ولكم يردد الصينيون — وهم شعب من شعوب اقطار العالم الثالث — بان سعادة الشباب ليست في الاباحية الجنسية التى تتمخض في الولايات المتحدة عن عدد من حالات الامراض الزهرية تبلغ سنويا مليوناً وسبعمائة الف اصابة جديدة ولهذا ترى الصين ان الاشتراكية ليس معناها الاخلاص الى مكسب من المكاسب بل انها تتجلى في الجهد الدائب المستمر من اجل تجديد تربية الانسان وقد اوضح الفيلسوف الاجتماعى التونسى ابن خلدون قبل صدور كتاب كارل ماركس «راس المال والشغل» بقرون ان العمل هو راس المال الحقيقى الذى يسهم في بناء صرح كل حضارة وعمران (1) ثم ان الثورة الثقافية التى تحققت في الصين ليست في نظرها سوى تركيز للنظرة البيداغوجية العريقة الى المسيرة الثورية التى ستسهم في ضمان تطور نهائى للتعليلات والمطامح الفردية التى هى مفتاح السلوك وخاصة سلوك الانسان في ميدان الانتجاب وتنمية النسل، وقد ابرز مدير البنك العالمى في استجواب (2) آخر «حاجة العالم الثالث الى تحديد النمو الديموغرافى باى ثمن والا فسيؤدى الامر حتما الى كارثة كونية»

ان العالم يشهد اليوم ارتياكا شاملا نفى نفس الوقت الذى يتم تخطيط الاقتصاد على نسق متسام في الصرامة والشدة ، نرى السكان في العالم الثالث وغيره يتزايدون او يتناقصون او يهاجرون دون اى جهد منطقى متماسك تقريبا عدا شواذ نادرة تنبثق في بعض البلاد كالصين لتوجيه هذه الحزكات فهل من حاجة لتأكيد ان التخطيط الاقتصادى سيظل مرتعنا بصورة خطيرة مادام لا يتوازى مع تخطيط آخر للنمو الديموغرافى ذلك

(1) كتاب «فكرة ماوتسى تونغ» — كودغان بريغات — باريس 1971 (J. Godfin-Privat)
(2) فى جريدة «الابسيرير Observer» — لندن ثالث اكتوبر 1971

التخطيط الذى لسنا فى حاجة الى القول بأنه لا يجب أن يهدف حتما الى تحديد النسل بل يمكن أن يرمى كذلك الى تنمية الخصب والاتجاب كما فعلت رومانيا أخيرا فى سياستها السكانية (1) « ومعظم بلدان العالم الثالث ليست لها سياسة شاملة للنمو محددة مضبوطة بل انها فى غالب الأحيان لاتكون قد قامت حتى بجرد مواردها لهذا فان تبنى سياسات سكانية تنحصر تعريفاتها تقريبا — بإيعاز المستشارين الغربيين — فى عبارات تحديد النسل — يجب أن يشهر به كاسلوب خاطيء لوضع مشكل التنمية ووسيلة خطيرة تصرف العالم الثالث عن العناية بالقضايا الأكثر أهمية والتي تنسم بطابع سياسى ففضية السكان ليست هى المنزع الاجتماعى الوحيد الذى يمكن أن نركز عليه بقوة (2) ، ان العنصر السكانى ربما كان أصعب تخطيطا من باقى العناصر الأساسية فى مسيرة التطور بل أننا لنتراب اشد الارتباب حتى فى تدرة الانسان على تحقيق ذلك فى هذه المرحلة من التطور السياسى والثقافى والروحي للانسانية» .

ويضيف الكاتب قائلًا :

« وهكذا فان المحاولة المتجددة من طرف الاخصائين الغربيين والهادفة الى تحديد سياسة سكانية فى عبارات مستمدة من مذهب مالتوس Malthus الذى هو أساس ايدولوجيتهم ثم فى عبارات تحديد الولادات — ان تلك المحاولة يجب أن يرفضها العالم الثالث لانها نابعة من خلل وارتباك عميقين فى المفاهيم والمدرجات القائمة بين تعليقات منع الحمل وانجازات الاجهزة المكلفة بنشر هذه الموانع » . ان سياسة قوية لتطوير الاقتصاد لهى المفتاح الأكبر لكل سياسة سكانية هادفة الى تحديد الولادات اذ ان أساس أية سياسة من هذا القبيل فى البلدان غير المصنعة لايمكن أن يكون غير رفع مستوى الحياة واستقرار حركة التثمين والاستخدام ولا يخفى أن تطبيق ميثاق الجزائر المتعلق بالحقوق الاقتصادية للعالم الثالث اوالذى وضعه فوج الدول السبعة والسبعين بعاصمة الجزائر فى شهر اكتوبر 1967 — يرتبط مباشرة بمشاكل منع الحمل

بالوسائل الاصطناعية فتطبيق مثل هذه التدابير الاقتصادية هو الشرط الذى يبرر تعليقات موانع الحمل تلك التعليقات التى ستبقى بدونها كل حملة تعقيمى (أى هادفة الى التعقيم من أجل الحيلولة دون الاتجاب) عديمة الجدوى (3) فاذا كان تحديد النسل قد يتجلى أحيانا لا كمبدأ مقبول فحسب بل ضرورى فان نجاحه سيطر مشروطا بتطبيق ملائم يُدخل فى حيز الاعتبار مقتضيات البيئة ذلك أن البناء التقليدى للمجتمع ينبغى اصلاحه بادئ ذى بدء باستئصال شوائب السلبين من أنصار patriarchalisme المذهب القائل بوجود سيطرة الآباء فى الأسرة ذلك المذهب الذى تخطط لوازمه بمقومات التقليد الاسلامى الصحيح أى السلفية الحق ، ثم ان خطر استعمال التقنيات الحديثة فى المنع الاصطناعى للحمل يمكن فى استيراد أهمى لكل مادة أو فكرة اجنبية دون أى اعتبار للقوام الاجتماعى الذى يقمحه الاسلام فى المفهوم العام ذلك المفهوم الذى يجب أن يكيف المجتمع الفاضل وقد صدرت دراسات فى الموضوع (4) تبرز سلسلة من الاجراءات الكفيلة بتعزيز المثلث المانعة للحمل فى العالم الثالث منها بالاضافة الى محاربة الوفيات — التحرير المعنوى للمرأة وتنظيم دروس فى التربية الجنسية والتوجيه العائلى على مستوى المعاهد الثانوية مع اختيار الفترة الصالحة نفسانيا (وهى فترة ما بعد الوضع) لتلقين المرأة مبادئ التخطيط العائلى عن طريق المرافق المختصة فى حماية الامومة والطفولة . وتستجيب المواد الكلاسيكية فى الفقه الاسلامى المدرجة فى برامج السلكين الثانوى والابتدائى بمعاهد التعليم — لهذا النداء الذى هو نداء الطبيعة فى سياقها الخلقى الاجتماعى فالفتاة والفتى يتلقى كلاهما معلومات دقيقة تلقى ضوءا كشافا على الفعالية الحقيقية لكل علاقة جنسية يظل موضوعها الاساسى هو الاتجاب والاتسل فى حدود الوسائل المتوفرة بل ان الاسلام يوصى بالتخلى عن الزواج عند تعذر الامكانات المادية فقد قال عليه السلام «من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ولكلمة باءة مفهوم مزدوج هو الزواج أولا ثم اقامة منزل صالح الامر الذى يستلزم

(1) على اثر انخفاض قوي فى عدد الولادات عام 1968 حيث اتخذت رومانيا سلسلة تدابير لتشجيع الاتجاب

- (2) مجلة تطور وحضارة — عدد خاص (47 و48)
 (3) كتاب اقتصاد مراقبة السكان ، محاضرة للدراسة العلمية للسكان — لندن 1969م، (6)
 (4) وضع وتطبيق سياسات سكانية فى العالم الثالث (عراقيل وامكانات) بقلم بيري براديرفان Pierre Pradervand فى المجلة المذكورة تطور وحضارات الخ

تدرة مادية لبناء بيست على دعائم قوية اجتماعية واقتصادية .

وهنا يمكن أن نتساءل كيف يتجلى هذا المشكل الديموغرافي في الشمال الأمازيغي وخاصة في البلدين المتجاورين الجزائر والمغرب ؟ ففي الجزائر تنجب كل امرأة متزوجة يتراوح سنهما بين الخمسة عشر الى حدود الخمسة والاربعين ولانخضع لاي انقطاع في مجرى اخصابها - معدل عشرة اطفال بقطع النظر عن الاجهيزات والاستقطاعات وغيرها (1) وقد اصبحت وزارة الصحة الجزائرية عام 1968 نحو الالف حالة من واد المواليد خاصة لاسباب اقتصادية وقد حاولت الجزائر الاجابة عن هذا التحدي الديموغرافي بنهج استراتيجي للتطور الاقتصادي (ضمن تصميم يمتد من 1967 الى 1980) وهى كالتالى :

(1) تحقيق التكامل الاقتصادى بتأسيس صناعة تحويلية للمواد التى كانت تصدر فيما قبل بحيث يصبح ميزان الاداءات سويا سلبيا بقدر ما يجمر الاستيراد فى مواد التجهيز الضرورية لخلق مروع تكميلية للاقتصاد الجزائرى .

(2) تنمية رأس المال الصناعى الجزائرى بفضل سياسة تعمل على توسيع نطاق الصادرات وخاصة منها المواد الهيدروكربونية (اى المشتقة من البترول) وبذلك تتم تنمية الطاقات لتكديس التوظيفات فى مجموع الاقتصاد .

(3) اقامة جهاز جديد للتكوين يتطابق مع الحاجات الاقتصادية المتبلورة فى اضاء طابع ديمقراطى على التعليم وتعميم عملية التدريب والتثقيف .

(4) القيام بتوزيع جديد للموارد بالفاء البطالة اى خلق وظائف جديدة وتوسيع رحاب السوق الداخلية التى هى محور النمو الاقتصادي فى البلاد .

اما فى المغرب فان 70 فى المائة من مجموع السكان كانوا يعيشون عام 1960 فى البادية و 29 فى المائة فى الحاضرة ، وقد أسفرت الاحصاءات عام 1971

عن نتائج تبرز نقصا خفيفا فى نسبة سكان الحضر (99 فى المائة مقابل 1ر 35 فى المائة بالبادية) ومن جملة العوامل التى قد تكون السبب فى هذا التقلص الديموغرافى بين اهل الوبر ظاهرة الاتحداك نحو المدن الكبرى فالمغرب بلد تعتبر نسبة الولادات فيه من اعلى النسب فى العالم فقد بلغت كثافة السكان - فى مساحة تبلى فى مجموعها 444000 كيلومتر مربع - معدل 33 فرد فى كل كيلومتر مربع عام 1968 وارتفعت - حسب الاحصاءات الرسمية - بنسبة فرد واحد لكل كيلومتر مربع ولكل سنة وبعد الاحصاء الذى تم عام 1960 قدر عدد سكان المغرب : 11 626 232 نسمة فى حين وصل حسب احصاء 1971 الى 15 379 259 من بينهم 111 987 من الاجانب وقد ارتفع معدل افراد كل عائلة من 4ر9 اشخاص بين سنتى 1961 - 1963 الى 5ر4 عام 1971 وذلك بالرغم عن قلة الاسر المغربيا التى تتعدد فيها الزوجات (ثلاثة فى المائة فقط) فاذ عمدنا الى دراسة مقارنة للارقام المنخفضة عن احصاء عام 1960 وعن العمليات الاحصائية السالفة فان مجمل نسبة الولادات يبلغ حوالى 50 فى المائة ونسبة الوفيات 17 فى المائة وبعبارة اخرى فان معدل نسبة ارتفاع سكان المغرب الذى كان يقدر عام 1969 بثلاثة وثلاثين فى المائة سيؤدى الى ضعف هذا العدد من السكان فى ظرف احدى وعشرين سنة ليصبح ثلاثين مليون نسمة عام 1990 - ومن جهة اخرى يصل عدد المسلمين فى المغرب الى تسعة وتسعين فى المائة من مجموع السكان اما تعليم الاميين فان نسبته فى الحواضر اكثر منها فى البوادي حيث تبلغ فى الاوساط الحضرية - حسب احصاءات 1961 - 1963 - 29 فى المائة (اى 41 فى المائة بين الرجال و 17 فى المائة بين النساء) بينما تصل بين اهل الوبر الى 18 فى المائة بالنسبة للرجال واثنين فى المائة بالنسبة للنساء وفى عام 1971 قدرت نسبة محو الامية بـ 76،5 فى المائة مقابل 83 فى المائة عام 1960 والفرق هام بين الوسط الحضري (56 فى المائة) والبادية (88 فى المائة) اما عدد الاطفال الذين تحتضنهم المدارس فقد وصل عام 1971 الى 1974000 من بينهم 530000 طفل فى البادية (28 فى المائة منهم فى الكتاتيب القرآنية)

(1) منشور حول برامج التخطيط العائلى بافريقيا (مركز تطور التنظيم والتعاون والتقدم الاقتصادي) - باريس 1970 ص 14

ومن جهة أخرى ارتفع الدخل الوطني عن كل نسمة من السكان - بين سنتي (1961 و 1969 من 674 درهما (134 دولارا امريكيا) الى 942 درهما (188 دولارا) ولكنه نقص عام 1969 بـ 0,30 في المائة بالنسبة لعام 1968 وتد بلغت الطبقة الشغيلة عام 1971 مايقرب من أربعة ملايين أي 26 في المائة من مجموع السكان وتتجاوز نسبة البطالة في المدن خمسة عشر في المائة بينما لا تتعدى 4,7 في المائة في البادية وإذا أردنا ان نعرف الى التداخل الحاصل بين النمو الديموغرافي والتطور الاجتماعي والاقتصادي فيمكن ان نقارن تزايد السكان - باعتبار معاملات الوفيات وخصوبة الانجاب مع نسبة التأثير على الدخل القومي ففي هذا الصدد سيتطور النمى الديموغرافي أي زيادة السكان - فيما اذا استقرت نسبة خصوبة الانسال - في 26 500 000 نسمة وإذا ما استمر هذا الاستقرار الى عام 1985 فان مستوى حياة المواطن لا يمكن ان يحتفظ بوتيرته - بعد عشرين سنة (أي بين 1965 و 1985) الا اذا ارتفعت رؤوس الاموال الموظفة باثنين وخمسين مليارا وذلك بقطع النظر عن ضرورة احداث أربعة ملايين وظيفة جديدة للقضاء على البطالة تتطلب توظيفات اضافية تقدر ب 107,5 ملايين زد على ذلك ما يستلزمه بناء دور سكنية رخيصة أي خمسة عشر مليارا (ثلاثة ملايين دولار) وخمسة ملايين درهم لمواجهة تكاليف الزيادة في عدد الاطفال الذين تحتضنهم المدارس بكيفية موازية يجب ان ترتفع الميزانيات الاجتماعية الأخرى كميزانية تسيير الصحة العمومية بما لا يقل عن ثلاثة في المائة وهكذا يتناقل العبء على الدولة دون ان تخفف من حمله زيادة ملائمة في انتاج المحاصيل أو الماشية الذي ظل قارا - اذا لم يكن قد نقص احيانا - طوال نصف قرن .

وإذا اعتبرنا هذه المعطيات أمكن ان نقدر مدى ما ينطوى عليه النمو الديموغرافي من أخطار جسيمة على التطور الاجتماعي والاقتصادي في البلاد وسعة المشاكل التي يصطدم بها المجتمع آنذاك بسبب فورة التضخم الناتجة عن استفحال حاجات هذا المجتمع لهذا يحاول المغرب ان يجد حلا للمشكلة الديموغرافية في تعزيز التخطيط العائلي باتخاذ اجراءات تهدف الى استئصال البطالة ومعالجة قضية تزايد السكان ويرى المسؤولون ضرورة نهج سياسة سكانية مستعجلة ترتكز على الموقومات الثلاثة الآتية :

(1) احداث وظائف في المدن

(2) اصلاحات عمرانية في الحواضر مع مكاتحة مدن التصدير

(3) نهج سياسة تهجير مؤقتة

وقد قام جلالة الملك الحسن الثاني بتعميد القوام الاجتماعي والاقتصادي في المغرب في ميدان التصنيع والاصلاح الزراعي والتنمية الوطنية فشملت بادرآت التحضير العمراني القروى وبناء الاحياء السكنية الرخيصة ومحاربة مدن التصدير وتحقيق اللامركزية في الاقاليم واقامة السدود وتوزيع الاراضى والتأميمات والتنقيبات المعدنية والبتروولية وتطوير موارد الفوسفاط وتشبيد المركبات الصناعية وتعميم التعليم ورفع مستوى حياة السكان وخاصة العامل الذى بدأ يساهم في ارباح الانتاج تلك عوامل بناءه يمكن ان تسهم - دون تصفية كاملة للمشكل - في ايجاد الحلول له .

وفي هذه الحال سيسفر النقص في نسبة الولادات عن مجرد اسهام في ايجاد الحلول لمشاكل التغذية وتعميم التعليم والسكنى والتشغيل بالتخفيف من حدتها ، أما ما يتعلق بالتخطيط العائلي نفسه فان برنامج الحكومة يرمى الى اقامة جهاز تحريرى يترك للأسرة كل الصلاحية لاختيار عدد الاطفال الذين ترغب في انجابهم اعتبارا لوسائلها وامكاناتها ومع ذلك فان مرافق مختصة في تلقين وسائل المنع الاصطناعى للحمل ستؤسس وتجهز عددا ووسائل لمساعدة العائلات دون أى ضغط على اختيار ما يلائمها لهذا تم وضع برنامج اعلامى وتنقيفى للاتصال بالاسرة بواسطة فئات اسعافية اجتماعية تضم ستمائة رجل وامرأة لشرح المظاهر المختلفة للتخطيط العائلي وكان يظهر ان بعض الناس اصبحوا يقبلون منذ عام 1969 على حقن تلقيح الرحم لمنع الحمل ولكن الاحصاء اوضح ان ثلاثة في المائة فقط من النساء اللواتى بلغن سن الانجاب هن اللواتى يستعملن هذه الطرق الاصطناعية الحديثة باستثناء الحقن التى يقوم بها اطباء القطاع الخاص فهذه السياسة المدرجة في التصميم الخماسى للدولة المغربية لم تطبق اذن الا جزئيا نظرا لقلة الوسائل الكافية في جهاز الصحة

به نتج موقف الكثير من الامارة الذى ترتبت عنه زيادة في النسل مرتفعة جدا ولعل الحديث الشريف العائل : «تكاثروا تناسلوا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة» يدخل في هذا الاطار لاسيما وان عدد المسلمين في عهده عليه السلام لم يكن يتجاوز الف واربعين الفا فهذه الابعاد المثالية للعائلة التقليدية الخاضعة لنظام الابوة والتي تزيدها-تضخما لوازم تعدد الزوجات او المتسرى - قد اتخذت مع التطور الاجتماعى والاقتصادى للامة مقاسات اقل من الماضى اذ ان نسبة الخصب اى الانسال تميل - خاصة في الشمال افريقي - الى الانخفاض من 7،5 اطفال لكل عائلة الى عدد يتراوح بين 3،5 و 5 اطفال ويرى كالدويل Caldwell (2) يرى ان نظام العائلة العديدة الافراد اى المطلقة من خصب مرتفع يرتكز في افريقيا على ثلاثة عناصر اساسية تلخص في كون الاطفال يمثلون توما اقتصاديا ويقومون بجزء من العمل الملقى على عاتق الاسرة ويساعدون الشيوخ والمعجزة ويساهمون بعددهم الكبير في دعم هبة ونفوذ الآباء غير ان هذا الثالث راجع في الحقيقة الى انعدام اى جهاز للتعاون او الاسعاف الاجتماعى تقيمه الدولة على الصعيد الوطنى فالظاهر الكلاسيكى لمدينة مغربية في العصور الوسطى مثلا يبرز عدم اهمية مشاكل كان المواطن المسلم يجهد في ذلك العصر لانها كانت تستأصل تلقائيا بمواقف وتقاليد وعادات تعقمها وسنستعرض للذكرى معطيات تصور لنا مدى تأثير الجانب التاريخى في الكشف عن خبايا الوسط الاسلامى المغربى ذلك ان المميزات الاجتماعية والاقتصادية - كما تتجلى في هذا المسار الحضارى - كانت تشكل عاملا حاسما من شأنه ان يوجهنا في وضع كل سياسة ديموغرافية نالى اى حد امكن للاخلاقية الاسلامية الفاضلة ان تقوم بدورها بكامل الفعالية في مجتمع اتسم بطابع افريقي وقبلى مزدوج ادت به النزعة الانفصالية المتطرفة الى لا مركزية توية ؟

ان مغرب القرن التاسع الهجرى ربما كان اكثر عمرانا منه اليوم (3) غير ان انعدام الاحصاءات

العمومية بالاضافة الى تقاعس السكان اهبالا او تشبثا بتقاليد الانسال الواسع ولهذا يحاول المغرب ان يتحاشى اتخاذ اى موقف صلب يتعارض مع «تقليديات» تكون احيانا خاطئة فهو يواصل بحوثه رغم كون اختياره قد وقع لحد الان مبدئيا على سياسة تهدف الى منع الحمل دون اية مواجهة ولاصطدام فهو يسير بكامل الحيطه والحذر - على مايوح - دون اللجوء الى شعائرنا لافتة للانظار ولاجرح للمواطف لاسيما وان الكثير من الناس مازالوا يتأثرون تارة بحرفية النص الذى يستندون اليه وطورا بتعميمات متسارعة لهذا النص دون اعارة كبير اهتمام للعوامل الثقافية والاجتماعية او الاقتصادية في المجتمع الاعلامى فاذا ماحاولنا تجزئة المشاكل وترتيبها حسب اسبقيتها وجب ان نهم اولا باتامة جهاز فعال لحماية الامومة والطفولة كجزء لا يتجزا من نظام وتائى عام على صعيد الصحة العمومية وفي هذه الحالة يكون التخطيط العائلى مفيدا مهما تكن نسبة الامية والمستوى الاجتماعى وتطور الامة الاقتصادى فهذا العنصر الاجتماعى يشكل توما متراسما ومجموعة متماسكة لايمكن فصل اجزائها بعضها عن البعض فاذا ماوضعنا مشكلا من المشاكل في مساره الحقيقى فسان المقومات الجوهرية الاخرى مثل الوسط العائلى والمستوى الثقافى والصحى والوازع الاجتماعى والعامل الاقتصادى الحق - تتفاعل كلها في معادلات انسانية متناسقة لهذا يستوجب كل تخطيط صالح تماسك المشاكل بتبسيط المعطيات وجعلها في متناول العامة وتحقيق تجارب واضحة لسهولة الاقتناع لان الوسط الصالح اجتماعيا وعائليا - مهما يكن مستوى الامية تادرا على ادراك ادق الخلجات وارق الشيات لمسارات من المسارات ومنهجية من المنهجيات ، ونلاحظ من ناحية اخرى ان نزوع الرجل افريقي بوجه عام الى الاكثار من النسل قد تولد منذ اعرق العصور تحت تأثير النظام القبلى الذى كانت تويته تزداد كلما ازداد عدد افراد القبيلة (1) وعن هذا الاتجاه التقليدى المتبلور في تقدير الكم والافتخار

(1) تقول القاعدة المنسوبة الى كاريپ Carette بخصوص الجزائر ان عدد السكان المقاتلين في القبيلة يمثل ثلثها اذا اضفنا اليه ربعها
(2) في بحثه حول ابعاد مراقبة العائلة في افريقيا - 1968 (ص 5)
(3) كوتى Gautier في كتابه (عصور المغرب الفاضلة) ص 405

ساعدت ثروة الموارد الطبيعية في هذا البلد على الاكتفاء الذاتي بل أن المغرب لم يكن يتخلى عن امداد الدول المجاورة كتونس والبرتغال بالعمون والمساعدة عندما كانت المجاعات تعيث في جوانب البحر الابيض المتوسط .

فهذا الرفاه الموصول في تاريخ المغرب كان دعامة اقتصادية للسياسة التي نهجها قادته في ميدان النسل حيث لم يكن هنالك داع لاي تخطيط يحدد حركة الاتجاب، ولم يهتم المغرب آنذاك بالفلاحة فقط بل عمل على دعم التصنيع . ولكن الاستعمار بدأ يحز في هذا الكيان الاقتصادي العتيق .

وبذلك حقق المغرب في نطاق روح التحرر الاسلامية التي هي روح انسانية اهدافه القومية في دائرة احترام حرية الامم والشعوب الاخرى فاعترف للولايات المتحدة قبل الآخرين بالحرية والاستقلال في الوقت الذي بقيت اوربا تتعثر حيرى ازاء هذا المولود الجديد وبرهن المغرب المسلم في عهد المولى اسماعيل باعتراف مؤرخي المسيحية أنفسهم — انه كان اكبر حام للفرنسيسكان الكاثوليك ، كما أن المغرب فتح ابوابه على مصاريها لليهود الذين طردتهم اوربا وفي ضمنها انجلترا طوال عدة قرون ولكن يوم كان اليهود يهودا قبل أن ينحرف الكثير منهم نحو الصهيونية اللانسانية ، نعم ظل المغرب العربي كمنوذج لبقية اقطار العالم الاسلامي في عهد الانصياح للوامر — ظل في خدمة الانسانية عاب والمواطنين خاصة فتواكبت لديه المقومات الحضارية والاجتماعية ومقاساتها العددية والعددية ، وهكذا واصل تعزيزه للاقتصاد بتوزيع اعانات ضخمة على المزارعين بلغت — حسب تقدير صاحب «درة السلوك» — خمسمائة مليون دينار (7) كما وزع ابلان الجذب كميات هائلة من الاغذية في المدن والاعانات في البادية ومنح قروضا للتجار لاستيراد المواد

الديموغرافية — حتى في العمود الذي كانت الدولة منتظمة — يجعل كل عد وحسبان في هذا الباب غامضا ويعيدا عن الواقع ففي اوربا نفسها بدأ الناس يتعرفون الى الاعداد السكانية عام 1850 فقط في حين أن عمليات الاحصاء بفرنسا لم تستد الا منذ عام 1880 على بطاقات فردية وهو النظام الذي يتوفر على بعض الضمانات ولم يتردد بعض الرحالين الاجانب في ربوع المغرب عن تقديم ارقام انطالاتا من تخمينات تقريبيه فقد أكد الدكتور رينو (1) Reynaud أن عدد سكان المغرب كان يتراوح بين تسعة وعشرة ملايين بينما اوصله المؤرخ ليون كودار L. Godard (2) الى ثمانية ملايين (لا خمسة عشر كما قال جاكسون Jackson وغيره من الحوليين) وقد أكد كوستاف لوبون (3) Gustave Le Bon هذه الارقام بالاشارة الى سنة او سبعة ملايين نسمة سنة 1880 اما المؤرخ موليراس (4) Moulières فقد تحدث بالنسبة لعام 1895 عن اربعة وعشرين الى خمسة وعشرين مليون نسمة مع فكر ما اجمع عليه الجغرافيون الغربيون من أن سكان المغرب كانوا يتراوحون بين خمسة الى ستة ملايين فقط وقد تنبأ موليراس بارتفاع هؤلاء السكان الى الضعف في ظرف قرن واحد قائلا: «اذا ماقلت هذا الاقليم المحفوظ طوال مائة عام من نهم الغزاة المغريين فسيكون له اربعون مليونا من السكان في نهاية القرن العشرين (5) غير أن موجات الاويثة التي جرفت بمنطقه البحر الابيض المتوسط منذ القرن السابع عشر قد اثارت — على مايقال — ثورة من الموتان اصابت العديد من السكان فيباريز كانت — حسبما يحكى — مسرحا لخمس أويثة متتالية بين عام 1619 وسنة 1668 خلفت احداها نحو الاربعم الف ضحية » ، الا أن هنري طيراس لاحظ (6) أن السلام الموصول الذي عرفه المغرب كان من شأنه أن ينمي عدد السكان وقد

(1) في كتابه « الصحة والطب في المغرب » الجزائر 1902 (ص 5)

(2) كتاب « وصف وتاريخ المغرب » — باريز 1860 (ص 8)

(3) حضارة العرب — الطبعة الفرنسية ص 263

(4) في كتابه « المغرب المجهول » — جزآن 1895

(5) موليراس ج 1 (ص 27)

(6) تاريخ المغرب جزآن — 1950

(7) كانت قيمة الدينار تعادل أكثر من اربعة غرامات من الذهب

التيار الجديد لم يحل دون احتفاظ المغرب بنبذة من التقاليد العريقة التي دعمت أمجاده في مختلف العصور فالمواطن المغربي كان دائما يتمتع باسماوات اجتماعية ضد العوامل الهدامة التي كانت تحز كيان المجتمع في العصور الوسطى خاصة في أوريسا كالجوع والمرض والجهل والتعسف والاستبداد وكان المغرب يمتاز بنوع من الامن والتوازن الاجتماعي القار الا ان العنصر الهام هنا هو ان هذه الكفالة كانت شعبية لا تدخل فيها للدولة التي ظلت في مندوحة عن تحمل عبئها فمرافق المجتمع كانت تتفاعل بشكل غريب تحت تأثير عوامل شتى أصبحت أشعثها في حياتنا المعاصرة باهتة كامدة ونخص بالذكر منها الاوقاف الحسبية التي كانت تتكفل عمليا باسماوات الطبقات غير المحظوظة في الامة وذلك باقامة الملاجئ ودور الضيافة في طول البلاد وعرضها حيث يجد المواطن المعوز المأوى الصالح والقوت الكافي والمساعدة المادية الموفرة ، وكانت روح التضامن تزكى الجماعة في مساعدتها للانفراد فلم تكن الدولة تشمر بالحاجة للتدخل من اجل اقرار التوازن وخلق تكافؤ الفرص بين الجميع كما كانت الزكوات والاعشار تخلق نوعا من التسوية بين الطبقات وتسد الحاجة الملحة دون انقار الفنى ولاتشجيع المساكين على الاخلاص للراحة لقوله عليه السلام «ان يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من ان يسأل أحدا اعطاه او منعه» وكانت ذيول هذه الاسماوات والاقواف ترخي سترها الفارعة على الفقر حيثما كان بالبلدان الاسلامية وخاصة في اليمن والحجاز وبالإضافة الى هذا الجهاز الكفيل بدعم الامن الاجتماعي كانت الدولة تعمل على ضمان اقامة القضاء الصالح لحماية الحقوق والمصالح بحسن اختيار القضاة ومراقبتهم من مغريات الرشوة والزور والانحراف حيث عزل السلطان المولى سليمان كافة قضاة البادية لعدم أهليتهم ومنذ القرن السادس الهجري وجه الخليفة الموحد يعقوب المنصور منشورا الى القضاة لتذكيرهم بشروط الحفاظ على العدالة متوعدا كلا من الراشدين والمرشدين الامر الذي خلق جوا حيا من عدالة القضاء عززت العدالة الاجتماعية مما حدا المؤرخين الغربيين الى الاشارة بمثالية القضاء قبل

الضرورية وبيعها بأرخص الاثمان ، وبذلك سبق في مناهجه الاسماوية الاجتماعية ما أصبحت الدول المعاصرة تقمه في تخطيطاتها وموازناتها ، وقد اتجه المولى محمد بن عبد الله أيضا الى ترخيص علاقته بالخارج لترجيح كفة ميزانه التجاري فصدر فرائض انتاجه الذي بلغ عام 1845 نحو 75000 طن من القمح والخضراوات الجافة في ميناء الصويرة وحده الذي تقبل عام 1911 اى قبيل مرض عقد الحماية 462 باخرة حيث صدر 38000 طن من المنتجات المغربية مقابل توريدات قدرت بـ 12000 طن ، ولم تكن الحركة الداخلية اقل ازدهارا ، اذ بلغ عدد رجال الحرف القومية التقليدية نصف مجموع سكان المدن (1) المغربية، كانوا يعملون ضمن اطار نقابى (نظام الحناطى) جد متحرر «لم يعتره زيف وفساد الا بعد احتكاكه بالمغرب (كما قال باليز) (2) وقد ساعد تنوع المواد الاولية ورخصها هذه الحرف على التنامي والازدهار حتى في البوادي ولنضرب مثلا بصناعة ميكانيكية كانت تحول في ارياض مدينة الجديدة منذ عام 1866 منتجات القطن التي كانت مشهورة بوجودتها وشبهها بنوع «سى - ايسلاند» (Sea Island) ذى الخيوط الحريرية المستطيلة وهذا المستوى المعاشى هو الذى حذا المؤرخ إدوار دوتى (Edward Douuté) الى القول بعد رحلته الدراسية الى المغرب - بأنه حمل ارتسامة الاقتناع بأن سكان المغرب يعيشون حياة اقتصادية أكثر قوة وتنظيما من حياة جيرانهم سكان الجزائر» غير أن الاقتصاد المغربى أصبح - بعد تدخل الاستعمار - يهوى في طريق الانهيار فاناخ الفقر بكله الثقيل ونبض معين بيت المال وتدخلت بعض الدول الغربية المتربصة لاستغلال ضعف المغرب المالى بسلك دبلوماسية جديدة سماها أندرى جوليان «دبلوماسية عن طريق المالية» ارتهنت مقدرات البلاد الاقتصادية ومستقبله للسيطرة عليه سياسيا وبذلك اندرج المغرب في مجال جديد أصبحت ايدولوجيات الغربيين تتحكم فيه وتكيف معطياته الحضارية وتوجهه نحو بوتقة مصطنعة بعيدة عن تقاليدته فاصطدم بمشاكل جديدة اضطر ان يتخذ لها حولا في نطاق العقليّة الجديدة غير أن هذا

(1) ماسينيون في كتابه « الحناطى الاسلامية » (اي جمعيات المحترفين) باريز 1925 ص 38
(2) مجلة المغرب الطبى

الحماية والتنويه بالوازع الكابح المتمثل في ضغط الجماهير التي كينها التكوين الاسلامي الفاضل وتشريع الانساني. ومن مقومات هذا الجهاز الاجتماعي مراكز الاستشفاء (مارستانات ومستشفيات ومصحات) التي كانت تسهر على وقاية الصحة وحفظها نقصر الحديث على واحد منها وهو مستشفى المنصور الموحدى «بمراكش» ذلك المستشفى الذى جهز كاي مستشفى عصرى بالادوية والاطباء والمرضى ومختلف الرفهات بالمجان وقد وصفه المؤرخ مبي (Millet) (1) بأنه يخجل في هذا العصر (اي عام 1927) مستشفيات باريس وقد تحدث دوتى (Doutté) عن مقوم اجتماعى آخر هو الطهارة - ككديبر وقائى ضد المرض - فأبرز فعاليته بالمغرب الذى كان بذ في هذا الحقل الكثير من الشموب المتدنة والواقع ان المستوى الثقافى لدى الشعب المغربى كان مرتفعا حتى بين الاميين الذين كانوا مسلحين للحياة أكثر من حملة الدبلوم في أم أخرى (2) وهذه العوامل متجمعة هى التي خلقت بيئة اجتماعية مثالية لم تترك للعامل الديموغرافى اى اثر في مسار تطور الاقتصاد وهذا هو الذى يبرر ما اشار اليه (ليون الامريقى) في كتابه «جغرافية افريقيا» من أن معدل العمر بلغ في الحواضر المغربية 70 سنة وفي الجبل مائة ولكن معدل الوفيات بدأ يتصاعد مع تسرب الاستعمار (الايبرى) اثر سقوط غرناطة أوائل القرن التاسع الهجرى ودخول ما كان يسمى في المغرب بالمرض الانرنجى «وهو الزهرى» (3) ويتجه الاطباء المعاصرون الى نسبة جانب من الخلل الاجتماعى الملحوظ في العالم الى هذا الوباء الفتاك الذى يرفع معدل الوفيات ويبلبل المسار الديموغرافى والاجتماعى الاقتصادى في المغرب ويرجع الفضل في جماع هذه المعطيات الايجابية الى الاسلام الذى يحوط المرأة الحصان بسياج من العفاف قبل الزواج كما يستنكر الانجاب غير المشروع بسد الباب في وجه الاستلحاق ويحظر بشدة وأد الطفل أو الجنين مهما تكن الاسباب كل تلك العوامل تحول دون الانسال الاعمى غير المتبصر وليس في نصوص الاسلام ما يجيز عملية الجرف الطبى Curetage وهو كحت وتنظيف

الرحم بعد تكون الجنين خلال ثلاثة الاشهر الاولى للحمل فاذا كان الحديث الشريف يشير الى اطوار الجنين من حالة النطفة ثم المضغة ثم العلقة ثم نفخ السروح حيث تستمر كل حالة اربعين يوما فان الجنين يتكون ولو بدون روح قبل نهاية هذه المدة لا يسمح الاسلام بالجرف الا في حالة الخطر الشديد على الأم ولكن روح الانجرف التي تفشت في العصر الحاضر والتي أصبحت تتسامح أكثر فأكثر في العلاقات الجنسية غير المشروعة والاجهاضات السرية - أتقدت المجتمع توازنه حيث أبعدت الدواليب الاجتماعية عن محورها الطبيعى ، واذا ما رجعنا الى النصوص الاسلامية الصحيحة لاحظنا أن العزل الهادف الى منع الحمل لم يكن محظورا في صدر الاسلام فقد روى البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وابن ماجه ومالك في الموطأ عن ابي سعيد : «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بنى المصطلق فأصبنا سببا من سبى العرب فاشتبهنا النساء واشتدت علينا العزوبة واحببنا العزل فأردنا أن نعزل وقتلنا نعزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا قبل ان نسأله فسألناه فقال ما عليكم ان تفعلوا ما من نسمة كائنة الى يوم القيامة الا وهى كائنة» وفي رواية أن رجلا قال : يارسول الله ان لى جارية وانا اعزل عنها وانا اكره ان تحمل وأن اليهود تحدث أن العزل المؤودة الصغرى قال كذبت يهود لو اراد الله ان يخلقه ما استطعت ان تصرفه» الا ان تطبيق ذلك يستلزم اتفاق الزوجين دون ضغط خارجى باصدار قانون ملزم فقد روى القزوينى كما في مجمع الزوائد لمحمد بن محمد بن سليمان الرودانى السوسى المغربى عن عمر رضى الله عنه أن ارسلوا عليه السلام نهى أن يعزل عن الحرة الا باذنها ذلك أن المجتمع الذى لاتضطلع فيه المرأة بدورها المشروع هو مجتمع حائد عن روح الاسلام فللمراة الحق الكامل الذى تنفرد به وحدها احيانا في الحياة الزوجية وخاصة الامومة كما لها حقوق تضمنها الشريعة لاتقل عن حقوق الرجال لان معظم المفسرين والائمة يؤكدون أن الآيات القرآنية المتعلقة بحقوق الرجال وواجباتهم شاملة للنساء ايضا اللهم الا اذا ورد

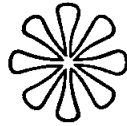
(1) في كتابه «الموحدون les Almohades» المطبوع عام 1927

(2) Propos d'un vieux marocain

(3) حسب ليون الامريقى الذى كان يعيش في القرن العاشر الهجرى اى السادس عشر الميلادى

المواطن فكريا واخلاقيا يتسم بطابع الاولوية كعامل اجتماعى ويرتبط المواطنون فى وسط اسلامى صحيح بوفاق من التضامن والتكافل يبذ فى نظر الشارع كل مقومات العبادة لان الدين المعاملة فلا نطيل بتسراد النصوص التى تكيف المدينة الاسلامية الفاضلة وتطبع روح المواطن المسلم بخلقية متسامية تعززه بدرع من المناعة ضد مستوجبات الحياة المعاصرة فى اطارها الحضارى المصطنع .

نصر صحيح مخصص وبذلك يتأكد مبدأ المساواة بين الجنسين فى ظلال القرآن عدا ماتستلزمه طبيعة المرأة ومقتضيات الحشمة والعفاف او المتطلبات الاسروية. وهكذا فان كل تسامح فى مجال «منع الحبل» لا يمكن ان ينقلب الى نظام اجتماعى قانونى معمم دون اعتبار لوازم البيئة ومختلف العوامل الاخرى ومن بينها العامل الاقتصادى والاجتماعى اذ ان كل تخطيط مهما يكن نوعه يظل عديم الجدوى فى وسط غير مهذب لا يرتفع الى مستوى مسؤولياته الاسروية والقومية ثم ان مستوى





مدخل إلى اللغويات التطبيقية

الفصل الثاني
وظائف اللغة

تأليف : س. هيث كوردر
ترجمة الأستاذ جمال صبري

اللغة كإحدى وسائل التخاطب :

السلوكية سمة « اخبارية » ، محتفظين بالمصطلح « تخاطبي » لوصف السلوك الذي يلجأ المرء إليه بقصد الاخبار ، ومن ثم فالشيء أو غيره من الأنشطة قد يحمل ، بطريقة عارضة ، معلومات لاحد الملاحظين الخارجيين ، وقد يتضمن هذا أيضا نشاطنا الصوتي اذ مثلما نتمكن من التعرف على شيء ما عن شخص معين من مشيته ، فانه بإمكاننا كذلك استنتاج أمور معينة عن شخص ما من صوته ، فأولا لكل امرئ شيء معين يتفرد به من حيث صوته أو طريقة تحدثه ، حقا ، يمكن ، إلى حد ما ، تغيير خاصية الصوت ، أو نبرته عن عمد ، كما يمكن لشخص ما اتخاذ مميزات صوت شخص آخر ، وتلك مهارة المحاكين ، وفي مثل هذه الحالات تستخدم المميزات « الدليلية » كما سهاها ابركرومبي 1967 Abercrombie (2) للتخاطب المقصود أي للتضليل ، وبالمثل يمكننا التعرف على الوقت الذي يكون فيه شخص ما غاضبا أو مستشارا أو متعبا من « جرس » صوته ، كما نعرف ذلك من كيفية مشيته ، أو من مظاهر أخرى عديدة في سلوكه ، ومن ثم فسلوكنا جميعه اخباري ، بصفة أساسية ، ويمكن استخدامه كذلك للتخاطب .

ومع ذلك فهذا لا يعني أنه يمكن « للمستقبل » دائما أن « يقرأ الاشارات » ، اذ لكي نخبر بشيء أو يتم التخاطب معنا ، من الواضح بحاجة الى تسدر معين من المعلومات العامة أو الخاصة ، وقد يكون من بين تلك المعلومات معرفة بتقاليد معينة ، فالتمييز بين التخاطب المقصود والتخاطب غير المقصود انما يمكن في راس « المرسل » ، أما التمييز بين كون المرء مبلغا أو غير مبلغ أو مخاطبا أو غير مخاطب فيمكن في راس « المستقبل » .

أما التمييز الثاني الذي يجب علينا معالجته فهو بين التخاطب اللغوي والتخاطب غير اللغوي ، عندما

بعد المناقشة العامة حول اساليب النظر الى اللغة ، تلك المناقشة التي جرت في الفصل السابق قد يظن من المدهش أن أحدا جرؤ وحاول وضع تعريف لاي شيء جد معتد ، ورغبا عن ذلك كانت هناك محاولات لا حصر لها في هذا الصدد ، غير أن ايا من تلك المحاولات لم يتسم بالافتقار والشمول التامين ، ولكن معظمها ، بسبيل أو بأخر ، يحاول أن يدخل على التعريف بيانا ما حول « وظيفة » اللغة ، وتتخذ تلك البيانات عادة صيغة من العبارات مثل : « بواسطتها يتخاطب الإنسان » ، و « نظام للتخاطب » ، و « لاغراض التخاطب » ، هذا ، وفي الفصل السابق اعتبرت فكرة اللغة كوسيلة للتخاطب على انها إحدى وجهات النظر الاجتماعية ازاء اللغة ، حيث ان تلك الفكرة انطوت على الاهتمام بالتحدث ، والمستمع ، وكذلك على كثير من مقومات موقف الحديث ، وهنا سأبسط قديما في أمر وظيفة التخاطب اللغوي ، علينا بادئ ذي بدء ، أن نميز بين التخاطب المقصود والتخاطب غير المقصود : اذا رأينا صديقا يسير على طول الطريق فقد نتمكن ، دون ملاحظته لنا ، والى حد كبير نسبيا الخروج باستنتاجات حوله وحول حالته الذهنية أو الصحية ، وعن الجهة التي يقصدها ولماذا كل ذلك من طريقة مشيته فحسب ، وفي هذا المعنى فان مشيته « تخبرنا بشيء ما ، الا انه لن يخطر ببال احد أنه يمشي بتلك الكيفية » بغية « التخاطب معنا على الرغم من أن ذلك قد يحدث أحيانا ، مثل قولنا عن امرأة ما : « لقد اندفعت خارج الغرفة وأغلقت الباب بعنف » . هذا ، وسلوكنا جميعه تخاطبي ، الى حد ما ، بمعنى أن المستقبل يعلم شيئا لم يكن يعرفه من قبل ، حتى ولو لم تكن لدى « المرسل » نية معينة لاخباره بأي شيء ، وأخذا برأي مرشال 1970 Marshal (1) فانه من المجد ان نعد تلك السمة

(1) Marshall, J-C. (1970), « The biology of communication in man and animals » in J. Lyons (ed). New Horizons in Linguistics. , Penguin.

(2) Abercrombie, D. (1963), « Conversation and Spoken Prose », English Language Teaching, Vol. 18, no. 1, pp. 10-16, reprinted in D. Abercrombie, Studies in Phonetics and Linguistics OUP, 1965.

الوح الى شخص ما بيدي لاجنب انتباهه ، فانما اخاطبه بطريقة عمدية ، وأنا افعل ذلك كجزء من خطة عمل مدروسة ، كمتقدمة ، مثلا ، لأخبره بشيء ما او استعارة شيء منه ، هذا ويجب أن تكون ايمائتي واضحة نفسرها على انها « نداء » لا على انها مجرد « تحية » او « وداع » او « تخذير » ، وبمعنى آخر عليه أن يفهم الایماء حتى يكون التخاطب معه ناجحا وتعد كيفية تفسير تلويحة او ايماءة ، في أى مجتمع ، مسألة تقليد سلوكي مشترك بين « المرسل والمستقبل »

والسلوك التخاطبي مسألة تقليد اساسا ، ومع ذلك فالتلويحة لا تعد جزءا من التخاطب اللغوي ، فاذا ناديت « هيسا ، يا بيل ، احضر هنا لحظة » ، فان نواياي تكون نفس النوايا ، الا ان تخاطبي هذه المرة سيؤخذ ، بصفة عامة ، على انه تخاطب لغوي ومن ناحية أخرى ، اذا صحت بالفاظ رديئة النطق ، قد يبدو من الصعب الحكم على ما اذا كان ذلك ، حقا ، تخاطب لغوي او غير لغوي ، اذ من الصعب وضع حد فاصل بين النوعين ، ويتوقف وضع ذلك الحد تماما على العالم اللغوي : وعلى الظواهر التي يجب على نظرياته ان تفسرها . والواضح تماما هو ان الامر لا يقتصر على ما اذا كنا نستخدم او لا نستخدم أعضاء الكلام في التخاطب ، فقبل كل شيء علينا استخدام السعال او الصياح او التناؤب او الاتين ومجموعة كبيرة من « الاشارات الصوتية » كتصرفات تخاطبية مقصودة ، يعدها نفر قليل « لغوية » ، وبالطبع ، يمكننا التخاطب لغويا عبر قناة البصر ، وعن طريق الكتابة ، وهذا لا ينطوي على استخدام الاعضاء الصوتية .

والفاصل بين التخاطب اللغوي والتخاطب غير اللغوي ليس محكما ثابتا ، اذ انه يتوقف ، بصفة اساسية ، على القرارات النظرية للعالم اللغوي ازاء ما يدخل في مجال دراسة ، فيقوم علماء لغويون مختلفون بوضع الفاصل بين التخاطب اللغوي والتخاطب غير اللغوي في أماكن مختلفة ، الا ان معظم العلماء اللغويين يتفقون ان الخاصية الرئيسية للسلوك اللغوي تكمن في انه يتألف من عدد كبير متناه من

الاشارات التحكيمية الا انها تقليدية والتي قد تتحد بطرق معتدة مختلفة لابرار تباينات المعنى : من حيث أن السلوك اللغوي لفظي اساسا ، ومن ناحية أخرى ، فالتمييز بين السلوك الصوتي والسلوك غير الصوتي سواء كان ذلك السلوك تخاطبيا او اخباريا ، لهو مسألة استخدام أعضاء الصوت او عدم استخدامها ، فحقيقة ارتباط التخاطب اللغوي اساسا بالسلوك الصوتي في عقول الامراد هو ، الى حد ما ، « حادث تاريخي » ، غالبا ما يسمى « اولية الحديث » وبهذا نعلم ان السلوك التخاطبي ينشأ بصورة طبيعية اولا على هيئة صوت ، ويظهر ذلك في تطور الفرد وفي تطور المجتمعات البشرية معا .

ومن ثم علينا ان نمايز بين السلوك سواء كان صوتيا او غير صوتي ، وبين السلوك الاخباري اساسا والسلوك التخاطبي تصدا ، كذلك يمكننا ايجاد فروق عدة بين السلوك التخاطبي (سواء كان لغويا او غير لغوي) وفقا لما يجرى نقله (تبليغه) ، هذا ، وسأتناول الموضوع بتفصيل اكبر فيما بعد في سياق السلوك اللغوي على وجه التحديد ، بيد انه من المفيد في هذا المقام ان نمايز بصفة مبدئية بين المهام الموسيقية ، والمهام الإدراكية ، للسلوك اللغوي (ليونز 1972) ، Lyons (3) وتكمن المهمة الموسيقية للسلوك اللغوي في استخدام هذا السلوك في التعبير عن حالتنا الذهنية وعن عواطفنا ، ولايجاد « صلة » بيننا وبين مستمعيينا ، ولتأكيد مشاعر التكامل والثقة والود تجاههم ، اسما الوظيفة الإدراكية للتخاطب فتكمن في التعبير عن ادراكاتنا الحسية ، وتخيالاتنا ، وارتائنا في « واقع الامور » ، واذا ما حللنا السلوك الاشاري للحيوان ، بهذه الكيفية ، فان ذلك السلوك يتضمن ، على وجه الحصر ، المهمة الاولى ، فمن الظاهر ان الحيوانات تتفاعل مع المواقف بحيث يمكن للمراقب العلمي البشري من حيث المبدأ ، ومن حيث معرفة بالموقف الاجمالي ، ان يتنبأ بأى اشارات صوتية او غير صوتية سوف تظهر ، ويتأثر تلك الاشارات على الحيوانات من نفس النوع ، او من نوع آخر ، وبمعنى آخر ، نحن نصف سلوكا حيوانيا معيننا على انه تعبير على الخوف ، او

(3) Lyons, J. (1972). « Human Language », in R. A. Hinde, (ed) Non-Verbal Communication, The Royal Society and Cambridge University Press.

للوضعة أو الإيماء أو نبرة الصوت أو تغيير الوجه .
أو طريقة مشيتنا أو ملبسنا أو أكلنا ، يمكن استخدام كل ذلك في اخبار الناس بشيء معين ، ولكن اذا اردنا بلوغ النجاح فيجب على « المستقبلين » معرفة مجموعة القواعد المرعية التي نتبعها ، هذا ويمكن الى حد كبير تحييد المشية « المتعبة » من ناحية وظائف الاعضاء غير انه يمكن محالكتها ، فثمة طريقة « مقبولة » للمشي تم عن « التعب » . ويقوم قدر كبير من التمثيل غير الجيد على مثل هذا النوع من القواعد المرعية من قبيل : امداد المرء يده في شعرة وكبت التثاؤب والقمعة وربما كان كل سلوكنا يتسم بأحد عناصر العادات التقليدية ذلك لانه انما يكتب في المجتمع ولهذا السبب بالذات فان الهيئة التي يتخذها ذلك السلوك تصبح مميزة للمجموعة الاجتماعية التي يكتب فيها ولמיד من الامثلة انظر لبار 1972 - La Barre (5) وهذا جزء مماثله بالثقافة ، فنحن نتخاطب تخاطبا عمديا حين نستخدم سلوكنا عن عمد في حدود نطاق مسموح به ووفقا لمجموعة من قواعد السلوك المرعية حتى نستخدمها في التخاطب وهذا يصدق بكل وضوح على اللغة كما انه يصدق على غيرها من اساليب السلوك

هذا وغالبا ما يطلق اسم شبه لغوى على اي استخدام عمدي للسلوك الجدى في اغراض التخاطب وفي حدود القواعد المرعية ، ومن قبيل ذلك الإيماءة والوضعة وتعبير الوجه ودرجة السرعة ودرجة الصوت ونوعية الحديث وثمة ميل قوى لان يصاحب السلوك شبه اللغوى السلوك اللغوى كنوع من الطبايق وهما يختلطان مثلهما في ذلك مثل الالحن التي تخطط فى عملية مزج الالحن ويتمثل ذلك عندما نوميء اتجساة شيء معين بدلا من استخدام تعبير لفظى : « فقط » اعطى ذلك ، ، ، (ايماءة) او كما يحدث كثيرا في المحلات والمكاتب : « واسيك . . . ؟ » مصحوبا برفع الحاجبين او بلمالة الرأس .

ويصعب التنبؤ تماما بالقدر القليل من السلوك

انصدائة ، او العدوان ، ، ، وهلم جرا ، لان ردود الفعل ازاء هذا السلوك من قبل الحيوانات الاخرى تكون هروبا ، او اقترابا ، او استعدادا للقتال . . . الخ ونحن نقرن سلوك الخوف بالاستجابة بالهروب ، ثم نمضى في القول ان الحيوان « ينبه » غيره من الحيوانات الى الخطر ، فاذا اخترنا تسمية تلك العملية « تخاطب » ، كما يحدث غالبا ، فليس من حقنا ان نفترض انه تخاطب « تصدى » بالمعنى الذى استخدمته فيما يتصل بالسلوك البشرى ، اذ ان القصد ينطوى بالضرورة على الاختيار ، وتستثنى مجموعة اشارات الحيوان فكرة الاختيار هذه ، ولكى يكون لدينا ما يبرر غزونا للتخاطب اللغوى الى حيوان معين ، علينا ايضاح ان ذلك الحيوان « ادرك » ان سلوكه تأثيرات معينة ، وانه استخدم تلك الاشارات لابرز التأثير ، ويتمثل اوضح دليل على هذا السلوك التصدى لو امكن جعل الحيوان يظهر اشارة الخوف او السرور بطريقة غير ملائمة ، اى يجعله يعطى معلومات مضللة ، الا انه ليس ثمة دلالة واضحة على حدوث ذلك الامر (مارشال 1970 ، Marshal (4) صفحة 235 - 236) (3)

واذا عدنا الان الى الوظيفة الادراكية للسلوك اللغوى ، يتضح لنا ان مجموعة اشارات الحيوان : سواء كانت مقصودة ام غير مقصودة ، ليس لها وظيفة ادراكية ، وبالمثل قد يكون للسلوك التخاطبى للانسان سواء كان ذلك السلوك لغويا او غير لغوى ، وظيفة مؤقتة ، الا ان السلوك اللغوى وحده هو الذى يختص بوظيفة ادراكية ، فنحن قد ننقل الخوف ، او مشاعر الود ، او السرور بصورة لغوية ، او بصورة غير لغوية ، الا انه لا يمكننا تأكيد ان شيئا معنا يتسم بالخطورة او السرور بغير طريق اللغة .

التخاطب والمعنى :

سبق لى القول بانه يمكننا التخاطب التصدى بوسائل اخرى غير الوسائل اللغوية ، فاختيارنا

(4) Marshall, J.C. (1970). « The biology of communication in man and animals » in J. Lyons (ed). New Horizons in Linguistics. , Penguin.

(5) La Barre, W. (1972) « The cultural basis of emotions and gestures », J. Person, no. 16 pp. 49-68 ; reprinted in J. Laver and S. Hutcheson (eds), Communication in Face-to-Face Interaction, Penguin.

اللغوى أو غير اللغوى للإنسان إذ لو كان التنبؤ أمرا ممكنا فاته، من الصعب أخبار الملاحظ بأى شيء لم يعرفه مسبقا ومن ثم فهذا ليس من قبيل الاخبار ، فلو كان لكل فرد نفس نوعية (الصوت) أو كان كل فرد يرتدى ملابس بطريقتة واحدة فان السميات السلوكية هذه لن تتم عن أية معلومات ومن المحتمل كذلك ألا تكون لهذه السميات الفاظ في لغتنا ، ولكانت تظل سميات عالمية ثابتة يجب قبولها كأمر مسلم به مثل كون المرء أنفا فهى مسألة لا اختيار لنا حيالها ، ولكن اذا كان لنا الخيار ، فثمة احتمال لاستخدامها في التخاطب ، وينطوى الاختيار بداهة على حد معين من البدائل التى يجليها الحدس نوع معين من النظام التقليدى ينطوى على المعنى ما يتم نقله ؟ :

تميل التقارير اللغوية على نحو نموذجى الى النص على ان وظيفة اللغة هى نقل « الفكر » غير اننا اذا فسرنا كلمة « فكر » بطريقة تحريرية بحيث يتضمن انعقاد والآراء والاحكام والادراكات فان ذلك يعد تقريرا محدودا للغاية ، ويمكننا قياس ذلك بوضع عبارة « اعتقد » فى صدارة تعبيرات قليلة ونتأكد اذا كانت مفهومة أو من الامضل التأكد من ان الاضافة لا تحدث تغييرا هاما فى المعنى اننا اذا نقلنا ذلك فسنجد مجموعة كاملة من التعبيرات التى تتأثر قليلا بتلك الاضافة ومجموعة اخرى تخضع لتغيير هام فى المعنى :

لقد ارتكبت الحكومة خطأ آخر
يجب أن تزور طبيبا
ستمود ريبكا غدا
هذه بلوزة جميلة

تبدو هذه الجمل قليلة التغير نسبيا فى معناها باضافة « اعتقد » قبلها ، ولكن ماذا يكون الحال بالنسبة للجمل الاتية :

يايت ، لايمكنك اجابة هذا السؤال
يا بيل يا محنك !

هل يمكنك ان تدلنى على الطريق الى الاوديون ؟

بالطبع ، يسرنى ذلك

ستلتقى اجابتي غدا

وتأتى المغالاة فى تقدير وظيفة اللغة كأداة

لنقل التعبير عن الإنكار من حقيقة أن المهتمين باللغة من الناحية التاريخية كانوا الفلاسفة وعلماء المنطق إذ كانوا يشتغلون بالناحية الافتراضية للغة من حيث قيمتها وحقيقتها ، وكانوا يميلون الى تركيز اهتمامهم على انواع الجمل التى يمكن تحليلها بصفتها معبرة عن الافتراضات الحقيقية أو الكاذبة الا أن من العسير التأكد من صدق أو كذب التعبير عن الرغبات والبهجة والالم والرضا أو عن المسائل والوامر إلا بالتقدير الذى نفترض به شيئا حقيقيا أو كاذبا . ونحن لا يمكننا القول بأن جملة « امرر الملح » حقيقية أو كاذبة فى حد ذاتها وكل ما يمكننا قوله أن الإدراكات أو الافتراضات الخاصة بالموقف الذى تنطق فيه تلك الجملة قد يكون كاذبا حقا أى ربما لا يكون هناك ملح وبالمثل فسؤال من قبيل « كم عدد أرجل الاصلة العاصرة ؟ » لا يتسم بالحقيقة أو الكذب وانما الكاذب فى الأمر هو الافتراض الضمنى من أن الاصلة العاصرة ليس لها أية أرجل على الإطلاق .

و فى حين تستخدم اللغة للتعبير عن أفكارنا ، نملك ليست وظيفتها الوحيدة إذ قد يكون من الصحيح أن معظم الجمل تحتوى على عنصر أو عناصر معينة تتفرض أو تؤكد عقائد أو ادراكات معينة عن موقفنا الحالى أو موقف العالم بصفة عامة الا أن ذلك لا يمكن أن يماثل بأى حال قولنا أن وظيفة اللغة هى التعبير عن أفكارنا .

إذا فاول شيء علينا مواجهته هو أننا نستطيع القول بماهية وظيفة نبذة من اللغة إذا أخذناها بمعزل عن سياق الكلام والموقف الذى استخدمت فيه ، فقد تنطق نفس مجموعة الكلمات فى مناسبات مختلفة بنوايا وتأثيرات مختلفة ، وببساطة لا يكفى تسجيل الكلمات التى تنطق ، بل علينا أن نتساءل عن سبب النطق بها ، ويمكننا تنفيذ ذلك بنجاح فحسب كما شاهدنا إذا كان لدينا قدر كبير من المعلومات عن المتحدث والمستمع والموقف ، ذلك انه عندما فكر نقلا عن أحد المسؤولين فى جريدة قوله انه يجب « معاملة » النهر المحلى « كبالوعة مفتوحة » ، لاحظ الصحفى الذى نقل الحديث انه كان يفترض أن يكون ذلك بمثابة « تحذير » وليس « كدعوة » ، وما زلت لا أستطيع تقدير ما إذا كانت اللامعة التى تقول « عبور المشاة » تعنى « تعليمات » للمشاة أم « تحذيرا » لسائقى السيارات فورا أى

تقرير - قد يبدو محايدا او بريئا ظاهريا - للحقيقة قد تكمن نية اخرى وهذا احد مشاكل التحدث عن الوظائف التخاطبية للغة ، فنحن لا نستطيع تصنيف المنطوقات بدقة وفقا لصيغتها النحوية اى وفقا لصيغة الامر ولاستفهام الخبر . . . وهلم جرا ، ثم نقول ان لكل صيغة وظيفة واحدة محسب على العكس من ذلك علينا القول انه قد يكون لاي منطوق عدة وظائف في آن واحد وانه ليس ثمة علاقة عامة بين صيغة منطوق ووظيفته بالرغم من وجود علاقة احصائية (احتمالية) مثلا بين الجملة الاستهامية ووظيفة توجيهه سؤال ما .

تمت في القسم السابق بالتمييز بين الوظيفة الموقفية والوظيفة الادراكية للحديث فيما يتعلق بالتمييز بين السلوك اللغوي والسلوك غير اللغوي ونتمتع بالوظيفة الادراكية بوضوح بما اسببته هنا بعنصر المنطوق الذي يعبر عن عقائدنا ، او ادراكاتنا او تصوراتنا لموقف ما ، او لموقف العالم بصفة عامة ويمكن الحكم على هذا الجزء من المنطوق (اذا كان له مثل هذه المكونة ، ويشير الى وقت ومكان معينين) ، بأنه حقيقى او كاذب حقا ، ولهذا السبب فهو يسمى احيانا بالعنصر الانتزاعى او الضمنى فى المنطوق (انظر سيرل 1969 Searle) (6) وبالطبع قد يكون فى نيتنا التزليل اى ان نقدم شيئا عكس الطريقة التى نرى بها الامور حقا او نعتقد انها كذلك على انه راينا ، او ادراكنا - الا ان هذا لا يعنى ان ذلك الجزء من المنطوق غير ادراكى ، فالوظيفة الموقفية عبارة عن مركب من الوظائف المعقدة المتصلة احداها بالآخرى فتعبيرات السرور والامم والخوف والرغبة وهلمجرا ليست تعبيرات عن كيفية رؤيتنا للامور او عما نعتقده فى وضعية الامور ، انها هى ردود فعلنا الشخصية ازاء وضعية الامور ، سواء كان ذلك طوعا ام قسرا ، فمنطوق « ريبكا ستاتى غدا » قد يكون خيرا محايدا مشرا للعاطفة لما نعتقده صوابا اما اذا قلنا « انه لن الخير ان تاتى ريبكا غدا » او « آمل ان تاتى ريبكا غدا » فاننا نضيف تعبيرا لموقفنا العاطفى لوضعية الامور كما نراها ، وبالمثل قد تنوى التزليل بالطبع . او اذا قلنا « ريبكا قد تاتى غدا » او « ريبكا لن تستطيع الحضور غدا » فاننا نضيف تقديرنا لاحتمال وضعية

الامور ، وقد يحتوى هذا المنطوق على مضمون عاطفى (ويتوقف ذلك على علاقتنا بريبكا) ولكنه ، اساسا تعبير عن درجة الثقة المتوفرة لدينا شخصا فى صدق ادراكنا لوضعية الامور ، ومرة ثانية قد تكون بنائية الى التزليل . وغالبا ما يقال للاحكام الخاصة باحتيخال او ترجح او امكانية او تأكيد العنصر الفرضى للتعبير ، العنصر النموذجى للمنطوق ، وقد نقول « ريبكا ، فلتحضرى الى المنزل غدا ! » ، من الواضح اننا هنا نصبر عن رغبة فى وضعية معينة للامور ، ويقدرمنا تعبير تلك المنطوقات المختلفة عن عاطفة او ثقة او رغبة فى وضعية معينة للامور ، يقدرمنا تتضمن جميعها عنصرا يخبر المستمع بشئ معين عن المتحدث ، نجبيهما تنطوى على عنصر فرضى فيها ، والان ، يمكننا ان نتساءل : هل يمكن وجود منطوقات ذات وظيفة موقفية محسب ، اى منطوقات ينقصها العنصر الفرضى او الادراكى ؟ وما العنصر الفرضى فى « مرحبا ! » او « الى اللقاء ! » او « كيف حالك ؟ » . يصعب القول بان تلك المنطوقات تعبر عن ادراك لوضعية الامور ، بالرغم من ان نطقها قد يفترض وجود مثل هذا الادراك واذا نظرنا الى مثل تلك المنطوقات ، نجد انه يمكن التنبؤ بحدوثها تماما ، وان بنيتها صيغية ، ولهذا السبب فهى تشبه ، الى حد كبير ، فى طبيعتها النداءات التى توجه الى الحيوانات ، ولذلك اطلق عليها بعض الناس مسمى سلوك « شبه لغوى » ، فمن الواضح ان وظيفتها موقفية ، بالرغم من انها قد لا تحدث اكثر من ايجاد شعور بالتضامن او علاقات الود بين المتحدث والمستمع ، الا ان الغالبية العظمى من المنطوقات ليست من هذا النوع الصيغى ، وتحتوى فعلا على عنصر افتراضى ، وربما كان ذلك هو السبب فى ان العرف جرى على اعتبار « نقل الافكار » كوظيفة اولى او وحيدة للغة .

اداء الحديث :

تنطوى معظم المنطوقات على عنصر ادراكى ، غير ان هذا لا يعنى ان وظيفة اللغة هى ، ببساطة ، التعبير عن ذلك العنصر ، فكل ما للغة هو عنصر موقفى يرتبط بنوايا المتحدث ، وعن طريقه ينقل شيئا معنا عن حالته الذهنية ، ونشاطه ، وعن سبب تحدثه

(6) Searle, J.R. (1969) « Speech Acts, » Cambridge University Press .